

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي



قسم: العلوم الانسانية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

القاضي عياض ومواقفه السياسية

476 هـ - 544 هـ / 1083-1149 م

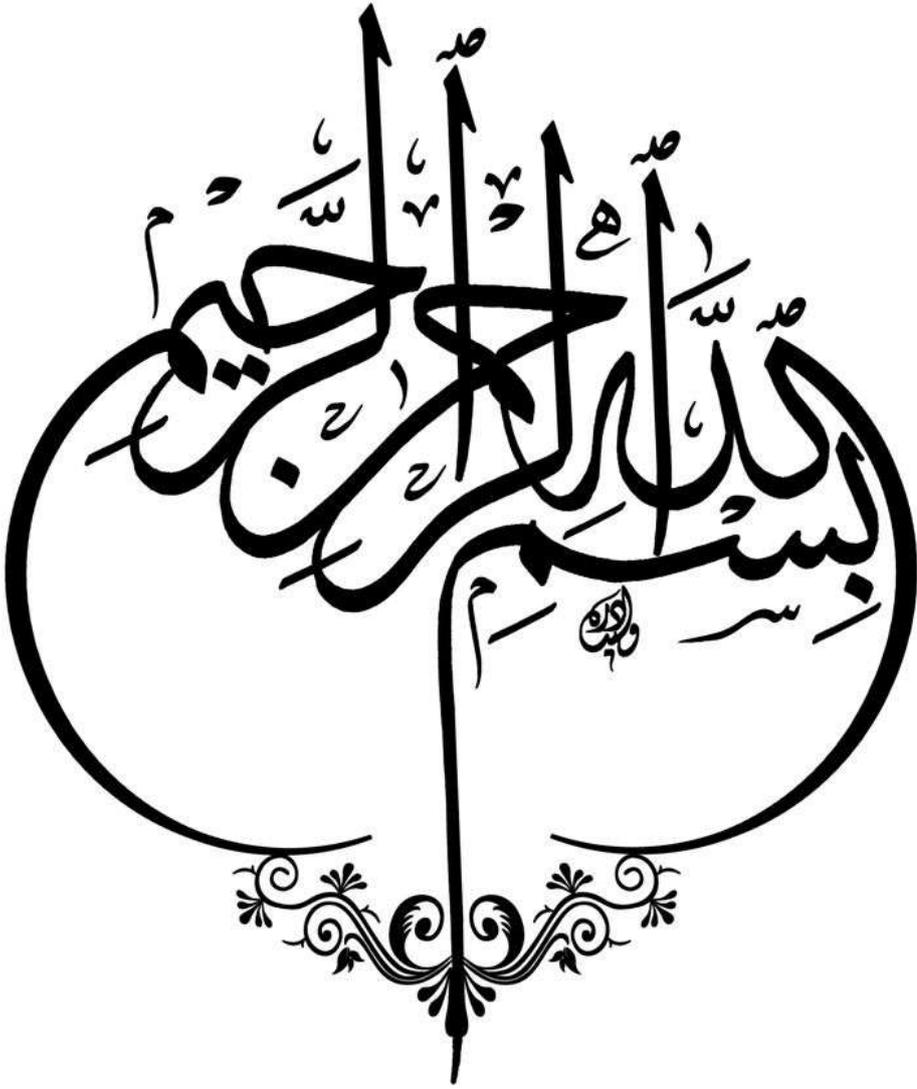
مذكرة مكملة تدخل ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ
تخصص تاريخ الغرب الاسلامي في العصر الوسيط

إشراف:
د/ غانية البشير

إعداد الطالبان:
ابراهيم مصباحي
وليد كاي

مؤسسة الانتساب	الصفة	الرتبة	الأستاذ
جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي	رئيس اللجنة	أستاذ مساعد أ	العابد عبد الحميد
جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي	مشرفا ومقررا	أستاذ محاضراً	البشير غانية
جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي	عضوا مناقشا	أستاذ محاضر ب	علال بن عمر

السنة الجامعية: 2018/2019



شكرا و عرفان

قال تعالى:

﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾

بعد عناء طويل واجتهاد كبير تكلم بإنجاز هذا البحث

نحمد الله عز وجل الذي بنعمته تتم الصالحات

ولا يسعنا إلا ان نخص بأسمى عبارات الشكر والعرفان للأستاذ المشرف

"غانية البشير" لما منحه لنا من وقت وجهد وتوجيه وإرشاد وتشجيع، كذلك نتقدم

بالشكر الى لجنة المناقشة الموقرة، وإلى كل الأساتذة بكلية العلوم الإجتماعية

والإنسانية ولا ننسى أن نشكر الطاقم الإداري لجامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي.

كما نشكر كل من ساعدنا من قريب أو بعيد ولو بكلمة أو دعوة صالحة.

إهداء

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أهدي هذا العمل المتواضع:

إلى الوالدين الكريمين حفظهما الله.

إلى كل أفراد أسرتي.

إلى كل الأصدقاء ومن كانوا برفقتي وصحبتني في دراستي بالجامعة.

إلى كل من لم يدخر جهدا في مساعدتي.

إلى أهل بلدتي تماسين.

إلى زميلي ابراهيم.

وليد



إهداء

يارب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك والصلاة والسلام على نبيك ورسولك محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم.
أهدي هذا العمل المتواضع:

إلى ملاكي في الحياة وبسمة الأمل فيه إلى ست الحبايب
أمي الغالية حفظها الله.

إلى من علمني العطاء دون انتظار إلى من أحمل إسمه بكل افتخار
أبي العزيز حفظه الله.

إلى من كبرت بينهم إخوتي وأخواتي كل واحد بإسمه.

إلى كل الأهل والأصدقاء

إلى روح جدي رحمه الله.

إلى كل أصدقائي كل واحد بإسمه.

إلى كل من ساهم في تلقيني ولو حرف في حياتي العلمية.

إلى زميلي في البحث وليد

إبراهيم



قائمة المختصرات

- ت : توفي
- تح : تحقيق
- تص : تصحيح
- تع : تعديل
- تق : تقديم
- ج : جزء
- د س : دون سنة
- د ط : دون طبعة
- د م ن : دون مكان نشر
- ص : صفحة
- ط : طبعة
- م : ميلادي
- هـ : هجري
- مج : مجلد
- مر : مراجع

مقدمة

مقدمة:

لقد شهد المغرب الإسلامي، خلال الفترات الزمنية التي مرّت عليه في العصر الوسيط تحولات سياسية كبيرة منذ عهد الفتوحات، حيث تعاقبت على حكم هذه المنطقة، دول وكيانات سياسية عديدة، تستقر الأوضاع في ضمنها تارة وتنتقض تارة أخرى، وفي ظل هذه الأحداث نشأت وبرزت قامات سياسية ودينية مرموقة، كان لها التأثير الكبير في سير هذه المجريات، بموقفها ورأيها ونفوذها وسلطتها، ولنا في فترة منتصف القرن الخامس الهجري، وبداية القرن السادس الهجري خير شاهد على ذلك، فقد عرفت هذه الفترة خاصة في المنطقة المغرب الأقصى، وجود دولة المرابطين التي قدمت من بلاد الصحراء، ثم حكمت بلاد المغرب والأندلس بعد توحيدها، ومن ثم قيام دولة الموحدين على أنقاض الدولة المذكورة، وكانت هذه الفترة حافلة بالأحداث والمجريات السياسية والدينية وغيرها، وفي نفس الوقت شهدت بروز قامات مشهورة جمعت بين الدين والسياسة، وساهمت في صناعة هذه الأحداث ولعبت دور لا يستهان به في توجيه دفتها، ومن هذه القامات المرموقة، قامة وشخصية دينية وكذلك سياسية وهي التي عنينا بالبحث والدراسة، ألا وهي: شخصية القاضي عياض، هذا العالم الذي اشتهر على أنه شخصية دينية في كتب التاريخ والسير والتراجم، ولكن الناظر والدارس لحياته، والفترة التي عاصرها وعاش فيها، والدور الذي لعبه يجد أن الجانب السياسي فيه لا يقل أهمية عن الجانب الديني، فكما كانت له حياة دينية حافلة بالرحلات العلمية وطلب العلم، والتدريس، والمؤلفات، كذلك كانت له حياة سياسية حافلة أيضا بالمنجزات والموافق القوية والمؤثرة والتوجيهات السديدة، التي كان لها الأثر البالغ في رسم صورة هذه الحياة، ولتسليط الضوء على هذا الموضوع قمنا بإجراء بحث ودراسة تحت عنوان : القاضي عياض ومواقفه السياسية .

ولقد كان اختيارنا لهذا الموضوع أسباب، منها ما كان ذاتي ومنها ما كان موضوعي.

(أ) الأسباب الذاتية:

- الاهتمام البالغ في معرفة الأحداث التاريخية التي جرت في منطقتنا المغاربية، وكيفية تعامل علمائنا معها، سواءً كانت سياسية أو دينية أو غيرها.
- الرغبة في إبراز مكانة علمائنا المغاربة ودورهم في المجال السياسي خاصة وباقي المجالات .

- توسيع مداركنا الفكرية والعلمية من خلال دراستنا لهذا الموضوع.

(ب) الأسباب الموضوعية:

- أن موضوع القاضي عياض في شقه السياسي لم يحض بالدراسة الكافية، وهذا شيء ملاحظ في كتب السير والتراجم، فكانت غالبها تتحدث عن حياته الدينية.
- كيفية تعامل الفقهاء مع السياسة والسياسيين والحكام والسلاطين .
- إثراء المكتبة الجامعية بهذا العمل المتواضع والبسيط.
- إن هذا البحث يسلط الضوء على شخصية القاضي عياض وما كان له من مواقف سياسية مع حكام عصره، وليتم هذا الأمر لبدا من وضع تساؤل ممنهج حتى تقف على واقع العلاقة التي كانت بين القاضي عياض وحكام عصره، وقد جاء لنا صياغته على النحو التالي:

- من هو القاضي عياض وما علاقته بالسياسة؟

وللإجابة عن هذا التساؤل لابد من طرح بعض الأسئلة الفرعية والتفصيلية وهي كالتالي:

- فما تتمثل السيرة الذاتية للقاضي عياض ؟

- كيف كانت الحياة العلمية للقاضي عياض ؟

- ماهي المناصب السياسية التي تقلدها القاضي عياض ؟

- وماهي أبرز المواقف السياسية التي صدرت عن القاضي عياض اتجاه الحكام ؟

ولقد تطلبت طبيعة هذه الدراسة الإستعانة ببعض المناهج العلمية، وهي كالاتي:

المنهج الاستقرائي: وذلك من خلال إستقراء كتب التراجم والطبقات.

المنهج التاريخي الوصفي: وذلك من خلال البحث والكشف عن الحقائق التاريخية، من خلال تحليل وتركيب الأحداث والوقائع الماضية المسجلة في كتب التراجم والطبقات والتاريخ، ومحاولة وصفها وتحديد خصائصها وأبعادها.

المنهج السردى: وذلك بمحاولة سرد المجريات والأحداث التاريخية التي تخص القاضي عياض.

المنهج المقارن: وقد احتجناه في بعض أجزائه إذ واجهتنا دراسة لمواقف سياسية اتجاه دولتين مختلفتين عن بعضهما ، هما دولتا المرابطين والموحدين.

وقد سرنا في بحثنا على ضوء خطة مفصلة كالآتي:

مقدمة وفصل تمهيدي، وفصلان في صلب الموضوع، وخاتمة، وملاحق، وقائمة مصادر ومراجع؛ فالمقدمة احتوت على تمهيد للموضوع بالإضافة إلى أسباب اختياره، ثم طرح الإشكال والمنهج المتبع في الدراسة، ونقد أهم المصادر التي تخدم الموضوع، وما واجهنا من صعوبات.

أما الفصل التمهيدي فقد تحدثنا فيه عن مجمل الحال الذي عاصره القاضي عياض، كالحال السياسي والإقتصادي والإجتماعي والديني.

وفيما يخص الفصل الاول، فقد عنوانه بالتعريف بالقاضي عياض، حيث يتضمن مبحثين رئيسين، الاول بعنوان: السيرة الذاتية للقاضي، وثاني بعنوان: بسيرة العلمية و الدينية.

أما الفصل الثاني فقد كان بعنوان: الحياة السياسية للقاضي عياض، ويتضمن ثلاثة عناصر وهي: مناصبه، ومواقفه السياسية، وتحليلها

وفي خاتمة موضوعنا استخلصنا مجموعة من الإستنتاجات، ومن ثم دعمنا بحثنا ببعض الملاحق والصور التوضيحية التي تزيد من قيمة البحث علميا.

أما ما يتعلق بجانب المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها نذكر أهمها وهي على النحو التالي:

1- كتاب التعريف بالقاضي عياض لابنه محمد بن عياض وهو أهم المصادر وأقربها الى القاضي عياض، حيث احتوى على ترجمته التي تضمنت، نسبه وأصله وولادته ونشأته ومكانته وصفاته وشيوخه، وايضا توليه القضاء وعلاقته بالموحدين، وثورة سبته ووفاته، وهو كتاب صغير أفدنا في ترجمة القاضي عياض، لكنه قليل المعلومات فيما يخص الجانب السياسي، ومظاهر التحفظ فيه بادية، إذ ألفه صاحبه في ظل دولة يعاديه أبوه.

2- كتاب الصلة لخلف بن عبد الملك بن بشكوال: وهو كتاب تراجم، وصل فيه المؤلف كتابا آخر للقاضي ابن الفرضي المسمى " تاريخ علماء الأندلس "، وقد ترجم للقاضي عياض في كتابه، ولكنها ترجمة مختصرة، وقليلة المعلومات، وفي الوقت ذاته أفادنا بتأكيد صحة هذه المعلومات والتواريخ المذكورة فيه، وايضا معرفة بعض شيوخه وتلاميذه.

3- كتاب أزهار الرياض في أخبار عياض لمؤلفه أحمد المقرئ، وهو من أهم المصادر التي تخص حياة القاضي عياض، والكتاب في خمسة أجزاء، وألفه صاحبه خصيصا في ترجمة

القاضي عياض، وفيه ترجمة موسعة، استوعبت كل ما يخص القاضي عياض، وقد أفادنا كثيرا في التعريف بالقاضي عياض.

4- كتاب ترتيب المدارك وكتاب الغنية كلاهما للقاضي عياض، يختصان في الترجمة، وقد أفادنا في معرفة المكانة العلمية للقاضي عياض، وترجمة شيوخه.

5- كتاب الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لمؤلفه ابن فرحون المالكي: وهو أيضا كتاب ترجمة للعلماء المالكية، وقد أفادنا في معرفة مؤلفات القاضي عياض.

6- كتاب العبر لابن خلدون: وهو كتاب مكون من سبعة أجزاء، أفادنا في جزئه السادس بالأحداث السياسية التي مرت بالقاضي عياض على قلتها واختصارها.

7- كتاب الأنيس المطرب بروض القرطاس لمؤلفة ابن أبي الزرع الفاسي: وهو كتاب تاريخ لدول وحكامها أفادنا في المجال السياسي.

وهناك مصادر كثيرة أخذنا منها مادتنا العلمية لا نستطيع حصرها بالشرح.

أما المراجع فنذكر أهمها:

1- كتاب الإستقصاء لإخبار دول المغرب الأقصى وهو كتاب تاريخ سياسي لدول وحكامها، مكون من تسعة أجزاء أفادنا في جزئه الثاني، بمعلومات سياسية حول القاضي عياض لأبأس بها.

2- كتاب القاضي عياض عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته لمؤلفه الحسين بن محمد شواط: والذي احتوى على دراسة خاصة لحياة القاضي عياض، وقد أفادنا في معرفة شخصية القاضي عياض وأحواله السياسية.

3- كتاب القاضي عياض وجهوده في علمي الحديث رواية ودراية لمؤلفه البشير علي حمد الترابي: وقد أفادنا في معرفة المكانة والعلمية للقاضي عياض.

-لقد واجهتنا صعوبات ومنها وفرة المصادر التي تتعلق بالتراجم والطبقات مع شح المعلومات السياسية التي تخص القاضي عياض فيها، فجل هذه المصادر ذكرت الجانب الديني لشخصيته ، وإن ذكرت الجانب السياسي فهو قليل.

وفي الأخير نقول أن هذا العمل ماهو إلا خطوة من الخطوات نحو إبراز مكانة شخصية القاضي عياض السياسية التي ضعف الاتجاه نحو إبرازها، والله الموفق لصواب

الفصل التمهيدي

الأوضاع العامة حول عصر القاضي عياض

- (1) - الحالة السياسية.
- (2) - الحالة الإقتصادية.
- (3) - الحالة الإجتماعية.
- (4) - الحالة الدينية والفكرية والعلمية.

لقد وافق زمن ميلاد ونشأة القاضي عياض زمن الاستقرار والرخاء في بلاد المغرب مما ساعده على التفرغ لطلب العلم وتحصيله، الذي أثمر نتائج إيجابية في ما بعد في مجالات التعليم والتأليف والقضاء والفتوى، وقد عرف القاضي عياض في آخر فتره من حياته محنة وبلاء كانت بسبب الإضطرابات السياسية التي شهدتها دوله المرابطين والتي انهارت بعد ذلك لتقوم مكانها دوله أخرى هي دوله الموحدين، حيث لم يعيش القاضي زمانها إلا يسيرا ثم توفي. وسنتطرق الى جوانب عامة من مظاهر عصره، سياسيه، واقتصادييه واجتماعيه ودينيه.¹

1- الحالة السياسية:

لقد كانت الفترة التي ولد فيها القاضي عياض هي فتره حكم المرابطين، هذه الدولة التي أسسها عبد الله بن ياسين²

وقد كان الوضع قبل ظهورها في المغرب والأندلس صعبا يعيش جو من الإضطراب والإنقسام السياسي³ والضعف على المستوى التعليمي والديني⁴ والإجتماعي، وبمجيء المرابطين استطاع المغرب والأندلس أن يتوحدا، وعرفا شيء من الهدوء والإستقرار، ثم

¹ حكيم الباشا: القاضي وجهوده العقديه في مبحث الالهيات والنبوات مذكره مقدمه لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية تخصص عقيدة، اشرف عمار جبدل، كلية العلوم الإسلامية، قسم العقائد والأديان، جامعه الجزائر، 2009/2010، ص 14 .

² هو الفقيه عبد الله بن ياسين بن مكوك بن سير على الجزولي او الجدالي، ولد بقرية تيمامانوات في طرف صحراء مدينة غانة، في احواز مدينة اودغشت، من أئمة المالكية في المغرب، وامير دولة المرابطين توفي يوم الاحد الرابع والعشرين الجمادي الاولى، سنة احدى وخمسين واربعمائة ، ودفن بموضع يعرف بطريفلة بتامينا وبنى على قبره مسجد. ينظر: علي ابن ابي الزرع الفاسي: الانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، د ط، دار المنصور، الرباط، 1972م، ص 124، 132؛ عياض بن موسى السبتي: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك، تح: سعيد أحمد اعراب، د ط، وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1983م، ج8، ص81؛ حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين، دط، دار الفكر العربي، القاهرة، د س، ص 113-117

³ إبراهيم القادري بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين (المجتمع ، الذهنيات والاولياء)، ط1، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1993، ص12 .

⁴ القاضي عياض، مصدر سابق، ص81 .

جاءت فترة يوسف بن تاشفين¹ الذي حكم بعد أبو بكر بن عمر اللمتوني الذي توفي سنة (468هـ/1075م)، حيث قاد يوسف بن تاشفين الدولة المرابطية الى الرقي والقوة، واستطاع أن يقهر خصومه من القبائل في المغرب، والدويلات في الأندلس، وتمكن من صد هجمات أعدائه الإسبان عن الأندلس، وكما حدث في موقعه زلّاقه² المشهورة مع ألفونسوا السادس ملك قشتاله في سنة (479هـ/1086م)، وبعد هذا التاريخ الحافل بالمنجزات توفي سنة (500هـ/1107م)³، وأنداك كان عمر القاضي 24 سنة، ثم تولى ابن يوسف بن تاشفين الحكم علي بن يوسف الذي كان كأبيه فأكمل مسيرته في بناء الدولة، فكانت الدولة مستقرة وتعيش في أمن واطمئنان⁴، لكن بعد وفاته سنة (537هـ/1142م) زادت شراسه الثورات التي كانت قد ظهرت في عهده، وكان يتبناها الموحدون، فتولى الحكم بعد علي بن يوسف ابنه تاشفين والذي ورث تركة ثقيلة ودولة كبيرة مترامية الاطراف وحافلة بالمشاكل والثورات، والتي لم يستطيع الصمود في وجهها؛ خاصة ثوره الموحدين، حيث انتهت بوفاته عندما حاصره عبد المؤمن بن علي صاحب المهدي في مدينه وهران⁵، وحدث ذلك سنة

¹ هو أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بن ابراهيم بن ترقوت بن منصور بن مصالة بن امية بن واتملي بن تاليت الحميري الصنهاجي، أمه جرة اللمتونية اسمها فاطمة وقد وصل ملكه الى مسيرة 33 يوما طولا، ومثلها عرضا في دولة امراطين، وتوفي شهر محرم سنة 500هـ/1107م، وقد بلغ عمره 100 سنة. للمزيد ينظر: بن ابي الزرع الفاسي، المصدر السابق، ص،ص 134،156.

² الزلّاقة بفتح اوله ووتشديد ثانيه، وللقالف اصله من قولهم مكان زلق أي حصن، والزلّاقة ارض بالاندلس بقرب قرطبة، حدثت فيها موقعة ايام يوسف بن تاشفين مع الافنش ملك الافرنج واحداثها اشهر من ان تذكر. ينظر: شهاب الدين ياقوت الحموي: معجم البلدان، د ط، دار صادر، بيروت، لبنان، 1397هـ/1977م، ص146.

³ ابو العباس احمد بن خالد الناصري: الاستقصاء في اخبار دول المغرب الاقصى، تح: جعفر الناصر، دط دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1957، ج2، ص54.

⁴ المرجع نفسه، ص55.

⁵ وهران: مدينة ساحلية على مقربة من ضفة البحر المالح، وعليها سور وبها اسواق مقدره، وصنائع كثيرة وتجارات نافعة وهي تقابل مدينة الميرية من ساحل بحر الاندلس، ولها على باباها مرسى صغير، وبه ترسو المراكب الكبيرة. ينظر: ابو عبد الله الشريف الادريسي: نزهة المشتاق في اختراق الافاق، دط، مكتبة الشفافة الدينية، القاهرة، مصر، 1422هـ/2002م، مج01، ص252.

(539هـ/1144م)¹ وتولى بعده ابنه ابراهيم بن تاشفين ولم يدم طويلا حتى انتهى سنة (540هـ/1145م) بسبب الخلافات الأسرية ليتولى بعده أخوه إسحاق بن علي بن تاشفين والذي قتل في مراكش على أيدي الموحدين سنة (541هـ/1146م)، حيث تعتبر هذه الواقعة النهاية الرسمية للدولة المرابطية²، لتقوم مكانها الدولة الموحدية، التي أسسها ابن تومرت.³ والذي توفي في معارك⁴ سابقة سنة (524هـ/1130م)⁵، ويتولى بعده عبد المؤمن بن علي⁶ الحكم، ويقود هذه الدولة الى السيطرة على المغرب كاملا، وهنا لم يلبث القاضي عياض إلا ثلاثة سنوات بعد نهاية المرابطين ثم يموت سنة (544هـ/1149م)، واستمرت دولة الموحدين بقيادة عبد المؤمن وأولاده من بعده، وكانت سيرته حسنة، ودولته قوية مترامية

¹ أبو العباس احمد بن محمد بن عذاري: البيان المغرب في اختصار اخبار ملوك الاندلس والمغرب، تح: بشار عواد، ط1 ، دار الغرب الاسلامي، تونس، 1434هـ/2013م، مج 03، ص88.
² بن عذاري، المصدر السابق، ص106.

³ محمد بن تومرت: رجل من أهل سوس ولد بضيعة تسمى باجلي من قبيلة هرغة، رحل الى المشرق وأخذ الأصول على أبا بكر الشاشي، والحديث عن المبارك بن عبد الجبار وجماعته، توفي سنة 524هـ/1130م. للمزيد ينظر: محي الدين أبي محمد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شر صلاح الدين الهواري/ د.ط، المكتبة العصرية، بيروت، 1426هـ/2006م، ص 140.

⁴ ابو محمد الحسن بن علي بن محمد ابن القطان المراكشي: نظم الحمان لترتيب ما سلف من اخبار الزمان ، تح: محمود علي مكي، ط2، دار الغرب الاسلامي تونس 1410هـ/1990م، ص 163

⁵ أبو بكر بن علي الصنهاجي: البيدق أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين ، د ط، دار المنصور، 1971، ص 95.

⁶ عبد المؤمن بن علي بن يعلى أبوه محمد وينتهي نسبه الى زناته والميه هانئين من موضع يعرف بتاجر على ميسره، ثلاثة اميال من مرسى هنين عمل تلمسان ويكنى ابو محمد، وهو خليفة محمد بن تومرت مؤسس دولة المرابطين، حيث كانت البيعة له يوم الخميس الرابع من شهر رمضان من سنة اربع وعشرين خمسمئة، و توفي سنة ثمان وخمسن وخمسمئة. ينظر: أحمد بن القاضي المكناسي : جذور الاقتباس في ذكر من حل من الاعلام مدينه فاس، د ط، دار المنصور، الرباط ، 1973، ص 446، 447.

الأطراف، وبقي الحكم في أولاده الى أن انهارت هذه الدولة؛ خاصة بعد واقعه العقاب¹ سنة تسع وستمئه، وبقيت تتقلص الى أن انتهت رسميا سنة (668هـ/1269م)².

2- الحالة الاقتصادية:

لطالما إرتبط الوضع الإقتصادي عبر التاريخ بالوضع السياسي، من حيث الإستقرار والإضطراب، فلما كان الحال السياسي مستقرا، انعكس ذلك ايجابا على الحال الإقتصادي وكذلك في فترة ظهور المرابطين حيث شهدت المنطقة التي وصل اليها حكمهم، وثبت فيها أمرهم، إزدهارا اقتصاديا ، ونشاطا ملحوظا في شتى المجالات وعلى كاهه الأصعدة، سواء تحدثنا عن التجارة او الزراعة او الصناعة³، وكان هذا الأمر محل إهتمام القادة السياسيين، حيث حرصوا على تحسين الوضع المعيشي للسكان عبر توفير الأمن والاستقرار⁴، وتأمين طرق التجارة ودعم للزراعة وعدم فرض الجباية والضرائب والخراج، وهنا يقول ابن أبي الزرع متحدثا عن فترة يوسف بن تاشفين، والذي وافق عصره القاضي عياض: " ولم يوجد في بلاد من بلاده ولا في عمل من أعماله على طول أيامه رسم مكس⁵ ولا معونة ولا خراج في حاضرة ولا بادية إلا ما أمر الله تعالى به وأوجبه حكم الكتاب والسنة"⁶

¹واقعه العقاب وهي معركة وقعت في 609 هـ، بين الجيوش النصرانية بقيادة الفونسوا الثامن ملك قشتاله، الذي دعمه الملك أراغون وملك البرتغال وبين دولة الموحدين بقيادة محمد الناصر الموحي وانتهت بهزيمة ساحقة للموحدين. للمزيد ينظر: راغب سرجاني: قصة الاندلس من الفتح الى السقوط، د.ط، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع، القاهرة، ص239.

² ابن ابي الزرع، المصدر السابق، 227.

³ عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ط 2 ، دار مكتبة الحياة، الجزائر ، 1384هـ/1965م، ج6، ص410.

⁴ مؤلف مجهول: الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية، تح: سهيل زكار وعبد القادر زمانه، ط 1 ، دار الرشاد الحديثة، 1399هـ/1979م، ص 82.

⁵ مكس: ومكس في البيع يمكس، إذا أحبى مالا، والمكس النقص والظلم ودرهم كانت تؤخذ من بائعي السلع في الاسواق في الجاهلية، أو درهم كان يأخذه المصدق بعد فراغه من الصدقه، تماكسا في البيع: تشاحا، وماكسه: شاحه ودون ذلك مكاس وعكاس. ينظر: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي: قاموس المحيط، تح: احمد باشا تيمور ونصر الهوريني، ط 1 ، دار الغد الجديد، القاهرة، 1435هـ/2014م، ص 1477.

⁶ ابن أبي الزرع، المصدر السابق، 137.

وكان ايضا من عمل الولاة والأمراء الحرص على سير الأمور، وتفقد الأوضاع الإدارية والمعيشية، يقول ابن أبي زرع عن يوسف بن تاشفين " فخرج في شهر ربيع الآخر منها يتطوف على بلاد المغرب ويفتقد أحوال الرعية، ينظر في أمور المسلمين ويسأل عن سير عماله وقضاته،¹ وفي المجمل كانت أيام المرابطين في العقود الأولى تعرف إزدهارا إقتصادي، وتعيش في رخاء ورغد من العيش،² خاصة بعد بناء مدينه مراكش³، ويختصر لنا الأمر ابن أبي الزرع في ذكر منجزات لمتونه مادة دولة المرابطين فيقول: " وكانت أيامهم أيام دعة ورفاهية ورخاء متصل وعافيه وأمن، تناها القمح في أيامهم الى أن بيع أربعة أوسق بنصف مثقال، والثمار ثمانية أوسق بنصف مثقال والقطاني⁴ لا تباع ولا تشتري كان ذلك مصطحبا بطول أيامهم"⁵، لكن اضطرت الأوضاع الاقتصادية تبعا للوضع السياسي فبظهور الموحدين سنة (514هـ/1120م)، اشتغل أمراء المرابطين بالوضع الأمني على حساب الإقتصاد، فضعفت الدولة وظهر فيها الخلل، واستمرت هكذا الى أن جاء عهد الدولة الموحدية بقياده عبد المؤمن بن علي، الذي قضى على دوله المرابطين⁶، فكانت تلك الأيام صعبة ، ضاقت أحوال الناس فيها وفنيت أقواتهم⁷، لكن استقرت الأوضاع في عهد عبد

¹ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص152.

² شوقي ابو خليل: زلاقة بقيادة يوسف بن تاشفين، ط2، دار الفكر، دمشق، سورية، 1980م، ص 75.

³ مراكش: وهي مدينه تقع في المغرب، شمال اغمات، بناها يوسف بن تاشفين، امير دوله المرابطين، في صدر سنه سبعين واربعمئة، وقيل تسع وخمسين واربعمائة، وهي في وطاء من الارض، وليس حولها من الجبال الى جبل صغير يسمى ايجليز ، وبنائها بالطين والطوب والطواي، بساتينها تسقى بالإبار. للمزيد ينظر: محمد الحميري، الروض المعطار في خبر الاقطار، تح: احسان عباس، ط2، مكتبه لبنان بيروت، 1984، ص 103.

⁴ القطاني ومفردها قطينة بالضم وبالكسر الثياب، وحبوب الارض، او مايسوى الحنطة والشعير والزبيب والتمر، او هي الحبوب التي تطبخ، الشافعي: العدس والخر والفول ولحمض او هي الخلف وخضر الصيف. ينظر: الفروزآبادي، المصدر السابق، ص 1282.

⁵ ابن ابي الزرع، المصدر السابق، 167.

⁶ مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر القديم والحديث، تصحيح: محمد الميلي، د ط ، المؤسسة الوطني للكتاب، الجزائر، دس، ج2، ص 233.

⁷ أبو عبد الله بن احمد بن محمد بن غازي العثماني المكناسي: الروض الهتون في اخبار مكناسه الزيتون، تح: عطا ابو رية و سلطان بن خليل الاسمري، ط 1، المكتبة الثقافية الدينية، د م ن، 1428هـ / 2007م، ص71

المؤمن ودخل المغرب والاندلس في حكمهم ، وانتعش الاقتصاد من جديد¹، قال ابن الخطيب: " ولم قضى وطره من اصلاح أحوال الأندلس والنظر في مهامتها وحسم علاتها وقدم أولاده بقواعد الأندلس قفل عنها الى مراكش لتوطيد ملكه وقد اتصل به ما أوجب ذلك"²، وقد مثلت فترة حكم أولاده من بعده أبو يعقوب وابنه المنصور أزهى فترات التي عرفتھا دولة الموحدين³، وذلك أنها شهدت انجازات، خلدت ذكرهم عبر التاريخ⁴

(3) - الحياة الاجتماعية :

يعرف المجتمع الذي عاصره القاضي عياض بمظاهر اجتماعية بارزة قد أثر فيها نظام الحكم السياسي السائد آنذاك بقيادة المرابطين ، حيث سنتناول هذه المظاهر من ناحيتين من ناحية المكونات ومن ناحية طبقات المجتمع في هذه الفترة .

المكونات : يعتبر المجتمع المغربي آنذاك متعدد الأجناس والعرقيات ، حيث تكونت هذه الأجناس والأعراف قديما⁵ ، ويذكر ابن خلدون في التعريف الطبقة الثانية من صنهاجة⁶ أنهم هم المثلثون الذين استوطنوا بالفقر⁷ وراء الرمال الصحراوية بالجنوب ، وصاروا مابين بلاد البربر وبلاد السودان ، واتخذوا اللثام خطاما تميزوا بشعاره بين الأمم، وتعددت قبائلهم

¹ ابن غازي المصدر السابق، ص 74، ومبارك الميلي، المرجع السابق، ص 332

² لسان الدين ابن الخطيب السلماني: اعمال الاعلام في من بويغ قبل الاحتلام من ملوك الاسلام تح: ليفي بروفنسال، ط2، دار المكشوف بيروت، لبنان، 1375 هـ / 1956 م، ص 286، 269.

³ حسن ابراهيم حسن: تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط14 ، دار الجيل بيروت، 1416هـ/ 1996م، ج4، ص301.

⁴ شرقي نواره: الحياه الاجتماعية في المغرب الاسلامي في عهد الموحدين، مذكره لنيل شهاده الماجستير في التاريخ الاسلامي الوسيط، ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2007/2008 هـ/1428 هـ، ص 25.

⁵ عصمت عبد اللطيف دنريش: دور المرابطين في نشر الاسلام في غرب إفريقيا(430هـ/515هـ)، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م، ص ص29-36.

⁶ صنهاجة: هي قبيلة بربرية من أوفر القبائل و أوسعها ثلث الامازيغ و بطون صنهاجة كثيرة حوالي 70 قبيلة منهم مسوفة، لمتونة، جزولة وغيرها. ينظر: بوزيانى الدراجي: القبائل الامازيغية (أدوارها-مواطنها-أعيانها)، ط4، دار الكتاب العربي، د.م.ن، 2010م، ج4، ص ص74-75.

⁷ القفر: الخلاء من الأرض ينظر؛ الفيروز أبادي: المصدر السابق، ص1288.

من كدالة فلمتونة فمسوفة فورتريقة فتاروكا فزغاوة ثم لمطة إخوة صنهاجة وللمتونة فيهم بطون كثيرة منهم بنو ورتتطق وبنو زمال وبنو صولان وبنو ناسجة¹ وكانوا على المجوسية ثم دخلوا الاسلام بعد فتح الأندلس ، وكانت الرياسة فيهم للمتونة وبالخصوص بني ورتتطق ، جاهدوا جيرانهم من السودان فأدخلوهم للإسلام² ، ولما قامت دولة المرابطين برياسة لمتونة أخضعت بلاد البربر في الشمال³ ، وأخضعت الأندلس فصارت الدولة المرابطية تحكم مجتمعاً يحوي فسيفساء من الأجناس والأعراف ، فكانت الأغلبية من البربر⁴ وإضافة الى ما ذكر من قبائلهم والذين انتهوا الى صنهاجة ، هناك قبائل أخرى هم المصامدة⁵ والذين قامت على أكتفهم فيما بعد دولة الموحدين، والمصامدة من أكبر القبائل البربرية⁶، حيث يندرج تحت إسمها الكثير من القبائل كاهرغة، وهنتاتة، وتينمل، وكيدموية، وكنفيسة، ووريكة، وهزميرة ودكالة، وحاحة وغيرها من القبائل⁷، ومكوّن آخر مهم هو العرب، وهم العنصر الثاني من هذا المجتمع، والذين شاركوا البربر في الإقامة في المنطقة⁸، وقد كان تواجههم قديم من أيام الفتح، ووجدوا في المجتمع المرابطي، وشاركوا السلطة السياسية في معاركها وجهادها ويشير الى ذلك صاحب نظم الجمان فيقول " واستشهد في هذه الواقعة الإمام الجزولي ، وكان رجل صدق وجماعة من الأعيان والعريان رحمهم الله"، ويشير الى ذلك

¹ عبد الرحمن بن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط1، دار الفكر، بيروت، 2000م، ج6، ص241.

² المصدر نفسه، ص242.

³ البربر: هم عرق ينتمون الى ولد حام بن نوح بن بر بن مازيغ بن كنعان بن حام، وهم عمالقة بني تملأ فهم جبل من الأدميين و سكان المغرب القديم اتخذوا بيوتهم من الطين و الحجارة ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص123.

⁴ حسن علي حسن : الحضارة الإسلامية في المغرب العربي الأندلس، ط1، مكتبة الخناجي، القاهرة، 1980م، ص292.

⁵ مؤلف مجهول، الحلل الموشية، المصدر السابق، ص16.

⁶ عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ص275.

⁷ عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص246.

⁸ حسن علي حسن ، المرجع السابق، ص306.

ايضا صاحب الاستقصاء فيذكر في جواز يوسف بن تاشفين الثاني فيقول "فجاز معه خلق كثير من المرابطين والمتطوعة من العرب وزناتة والمصامدة وسائر قبائل البربر"¹ .
 وقبائل العرب كانت مشاركتهم في المجتمع المرابطي قليلة مقارنة بالمجتمع الموحي وكان غالبهم من العرب الهلالية²، وهناك أقليات أخرى يمكن أن نصنفها في مكونات المجتمع في هذه الفترة ومنها: السودانيين وقد استخدمهم المرابطون في جيوشهم وتنظيماتهم العسكرية وصاروا يكونون فرقة من فرق الجيش، ويشير الى ذلك صاحب الحلل الموشية حين تحدث عن يوسف بن تاشفين فقال " ولما كان في سنة أربع وستين وأربعمائة قوى أمره وعظمت شوكته ، فاشترى جملة من عبيد السودان"³، وكانت نساء السودان يجدن الطبخ ومختلف أصناف الطعام، يقول صاحب كتاب الاستبصار في وصف مدينة اودغشت⁴ ويجلب منها السودانيات طبخات محسنات ، تباع الواحدة بمائة دينار كبار وأزيد ، يحسن عمل الأطعمة ولاسيما أصناف الحلويات "⁵، " وكانوا يستخدمون كجوار ايضا "⁶.
 ومن الأقليات ايضا الروم والصقالبة⁷ ، حيث عاشت طائفة منهم بأرض المغرب الأقصى نتيجة للمعارك التي خاضها المرابطون والموحدون بالأندلس، وكان من جرائها الكثير من الأسرى والذين استعلموا في وظائف الدولة كالجيش وغيره للإستفادة من خبراتهم،⁸ يقول

¹ احمد الناصري ، المرجع السابق، ص68.

² حسن علي حسن ، المرجع السابق، ص309.

³ مؤلف مجهول، الحلل الموشية، المصدر السابق، ص25.

⁴ اودغشت :مدينة بين صحراء لمتونة و السودان و هي مدينة عظيمة، أهلة لكنها صغيرة وفي صحرائها ماء قليل ، وهي بين جبلين شبه مكة في الصفة ومنها الة غانا. ينظر: محمد الحميري، المصدر السابق، ص68.

⁵ مؤلف مجهول :الاستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب، تر: سعد زغول عبد الحميد، د.ط، دار الشؤون الثقافية العامة، د.م.ن، د.س، ص216.

⁶ المصدر نفسه، ص215.

⁷ صقالبة :نسبة الى مدينة يحوطها و يكتنفها من جهة شرقيها جبل ممتد من قرب اذرنوبلي عن ثلاثين ميلا منها و يسمى سو و فوقه بلد سو فيمر شمالا حتى ينتهي الى قستورية فتحها مسلمة بن عبد الملك حين سار الى القسطنطينية في طريق البر و عمر بن هبيرة حين سار في طريق البحر فجازا الخليج ودار ما بين الخليج، و بينهما زكان ذلك في سنة98هـ /771م. ينظر: الإدريسي ، المصدر السابق، ص790؛ الحميري، المصدر السابق، ص368.

⁸ عبد الرحمن الجليلي ، المرجع السابق، ص407.

صاحب الحلل الموشية في ذكر يوسف بن تاشفين " وبعث الى الأندلس فاشترى جملة من العلوج¹ فأركبهم وانتهى عنده منهم مائتان وخمسون فارسا...² ويذكر ابن أبي الزرع في تعريف علي بن تاشفين أن أمه رومية إسمها قمر وتكنى أم الحسن³.

ومن الأقليات الترك وقد استعان بهم المرابطون في جيوشهم، ثم عزلوا في عهد الموحدين يقول المراكشي صاحب المعجب "وفي أيام أبي يعقوب ورد علينا المغرب أول من وردها من الغزو الترك . ذلك في أواخر سنة (574هـ/1178م). وما زالوا يكثرون عندنا الى آخر أيام أبي يوسف"⁴.

طبقات المجتمع : المستقرى لحياة المجتمع المرابطي يجده ينقسم الى أربع طبقات بارزة :

1- **الطبقة الحاكمة :** هاته التي لها نصيب الأسد من السيادة والهيمنة على البلاد وقد كانت الطبقة الحاكمة من قبيلة لمتونة⁵، ومسوفة، وجداله، وغيرهم، وهذا ما نلاحظه من إشارة صاحب الحلل لذلك بقوله " وبعث أي يوسف بن تاشفين سنة(475هـ/1082م) الى الصحراء لمتونة ومسوفة وجداله وغيرهم يعلمهم بما فتح الله عليه من ملك المغرب وطاعة أهله ويؤكد عليهم في القوم، فأوفد إليه منهم جموع كثيرة، ولاهم الأعمال، وصرف أعيانهم في مهمات الأشغال، فاكتسبوا الأموال، وملكوا رقاب الرجال، وكثروا بكل مكان، وساعدهم الوقت والزمان، وكثرت جموعهم وتوفرت عساكرهم⁶.

2- **طبقة الفقهاء والعلماء:** وهذه الطبقة لها أهمية بالغة باعتبار أن هذه الدولة قامت على دعوة دينية بقيادة الفقيه المالكي عبد الله بن ياسين ، وغالبا ما تذكر كتب التراجم التي ترجمت لأمراء المرابطين إكرام هؤلاء الأمراء للفقهاء والعلماء وتعظيمهم لهم، يقول ابن أبي

¹ العلوج : جمع علج وهو الرجل من الكفار العجم، ينظر: مجد الدين الفيروز أبادي ، المصدر السابق، ص1087.

² مؤلف مجهول، الحلل الموشية، المصدر السابق، ص25.

³ علي بن أبي الزرع ، المصدر السابق، ص157.

⁴ عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص187.

⁵ لمتونة :هي قبيلة من بطون صنهاجة و أهلها رحال في الصحراء. للمزيد ينظر: أبو عبيد البكري :المغرب في ذكر افريقية و المغرب، د.ط، مكتبة المثنى بغداد،العراق،1857م،ص164.

⁶ مؤلف مجهول، الحلل الموشية، المصدر السابق، ص33.

الزرع عن يوسف بن تاشفين " وكان محبا للفقهاء والعلماء والصلحاء مقربا لهم صادرا لرأيهم متكرما لهم " ¹، ويقول عنه ابن خلكان أيضا " مؤثرا لأهل العلم والدين كثير المشورة لهم " وكانت الحكومة المرابطية مقيّدة بأحكام الدين، ولا يمضي أمراؤها وعمّالها أمرا إلا باستشارة رجال الدين وموافقتهم ² .

3- **طبقة العمال وأهل المهن والحرف والتجار** : وهم بدورهم لهم مكانة مرموقة ويحضون بدعم الأمراء المرابطين خاصة المزارعين والفلاحين ³ .

4- **طبقة المرأة** : وهذه سمة بارزة وميزة ملحوظة في المجتمع المرابطي حيث كانت للمرأة مكانة عالية ودور فعال ، حيث يقول الدكتور حسن احمد محمود " ومن أغرب ما تمتاز به هذه القبائل أن مكانة المرأة في المجتمع مكانة رفيعة ، بل تعتبر ند للرجال وتتمتع بنفوذ لا حد له ولا يباشرون أعمالهن البيئية بل يقوم العبيد بأدائها " ⁴ .

ويمكن أن نضيف طبقة أخرى وهي طبقة أهل الذمة وإن كان لها تواجد قليل وهي عبارة عن جاليات من اليهود والنصارى، دخلت الى المغرب قديما، وذكر ابن خلدون أن من البربر من كان يدين باليهودية ⁵، وهناك أيضا من يدين بالمسيحية متأثرا بالرهبان الذين جاؤا من مصر في القرن الثاني الميلادي، ولما قامت دولة المرابطين استظلت هذه الديانات تحت حكمها وكان اليهود في هذه الفترة أثرياء، ففرضت عليهم دولة المرابطية ضرائب كبيرة ⁶، وقد ابعدوا عن مدينة مراكش وسمح لهم بالعمل بها في النهار والإنصراف منها ليلا ⁷.

¹ ابن أبي الزرع، المصدر السابق، ص138.

² أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن خلكان: وفيات الأعيان و أبناء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، د.ط، دار صادر، بيروت، 1972م، ج7، ص212.

³ حسن علي حسن، المرجع السابق، ص232.

⁴ حسن احمد محمود: قيام دولة المرابطين (صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصر الوسيط)، د.ط، دار الفكر العربي، القاهرة، د.س، ص52.

⁵ ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص107.

⁶ مؤلف مجهول، الحلل الموشية، المصدر السابق، ص33.

⁷ المصدر نفسه، ص34.

4- الحالة الدينية والفكرية والعلمية:

أما الوضع الديني فهو كذلك مرتبط بالوضع السياسي كباقي المجالات ، فحين كان وضع بلاد المغرب يعيش اضطرابا سياسيا¹، كان ذلك منعكسا على الوضع الديني، فكان المغاربة وخاصة في بلاد الصحراء يعيشون جهلا وضعفا على المستوى العلمي والفكري، يقول القاضي عياض في كتابه ترتيب المدارك حين أتى إلى ترجمة عبد الله بن ياسين " فرغب الى واكاك أن يوجه معه رجلا من طلبته لتعلم قومه أي الجوهرى بن سكن...العلم إذ كان عندهم قليلا وأكثرهم جاهلية ليس عند أكثرهم إلا الشهادتان ².

ثم قامت دولة المرابطين بقيادة عبد الله بن ياسين وازدهرت فيما بعد في عهد يوسف بن تاشفين وابنه علي بن يوسف، على جميع المستويات ومنها الدين، فقد كان مذهبهم في الفقه المذهب المالكي، هذا المذهب محكما في القضاء التشريعي³، أما العقائد والأصول؛ فقد تم تبني عقيدة أهل السنة والجماعة⁴ التقليدية ومن ثم رفض طريقة علم الكلام في إثبات العقائد، حيث يذكر صاحب المعجب فيقول " ودان أهل ذلك الزمان بتكفير كل من ظهر منه الخوض في علوم الكلام، وقرّر الفقهاء عند أمير المسلمين تقبيح علم الكلام وكراهة السلف له وهجرهم من ظهر عليه شيء منه، وأنه بدعة في الدين وربما أدى أكثره الى اختلاف في العقائد في اشباه لهذه الأقوال ⁵ .

ومما يؤكد تعزز مكانة الدين كما ذكرنا سابقا هو إكرام وإعلاء طبقة رجال الدين والفقهاء من طرف الأمراء في الدولة المرابطية، يقول ابن الأثير في أحداث سنة (500هـ/1107م) في ذكر وفاة يوسف بن تاشفين " وكان حسن السيرة عادلا يميل الى أهل الدين والعلم

¹ القاضي عياض، ترتيب المدارك، المصدر السابق، ص87.

² المصدر نفسه، ص86.

³ مبارك الميلي، المرجع السابق، ص284.

⁴ الحسين بن محمد شواط: القاضي عياض عالم المغرب و إمام أهل الحديث في وقته، ط1، دار القلم، دمشق، سوريا، 1999م، ص16.

⁵ عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص131.

ويكرمهم ويصدر عن رأيهم¹ وينقل صاحب الحلل الموشية قول الفقيه ابن العربي² قوله " المرابطون قاموا بدعوة الحق بنصرة الدين وهم حماة المسلمين والمجاهدون دونهم"³ ويذكر صاحب المعجب عن علي بن يوسف فيقول " انه في عهد علي بن يوسف بن تاشفين بلغ الفقهاء مبلغا عظيما لم يبلغوا مثله في الصدر الأول من فتح الأندلس ولم يزل الفقهاء على ذلك وأمور المسلمين راجعة إليهم وأحكامهم صغيرها وكبيرها موقوفة عليهم"⁴ ويقول صاحب الإحاطة عن تاشفين بن علي أمير غرناطة آنذاك " وأكرم الطلبة وكان له يوم في كل جمعة يتفرغ فيه للمناظرة"⁵ ، ومما سبق يتبين لنا حالة الدين وازدهاره في عصر القاضي عياض. أما الجانب العلمي فكان له هو الآخر نصيب حتى كانت المجالس العلمية في عهد المرابطين تضاهي مجالس بني العباس يقول المراكشي " فانقطع الى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين من الجزيرة من أهل كل علم فحوله، حتى أشبهت حضرته حضرة بني العباس في صدر دولتهم واجتمع له ولابنه من أعيان الكتاب فرسان البلاغة ما لم يتفق اجتماعه في عصر من الأعصار"⁶ وهذا دليل واضح على رقي الحياة العلمية في هذا العصر وقد ازدهرت وكثر العلماء وشاعت التصانيف وقويت الرحلات العلمية وتعددت مجالس العلماء وكثر طلابها⁷.

¹ أبو الحسن عز الدين علي بن الأثير: الكامل في التاريخ، مر، تص: محمد يوسف الدقاق، ط4، دار الكتب العلمية، د.م.ن، 2003، مج9، ص99.

² ابن العربي: هو القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن احمد المعافري المعروف ابن العربي، من أهل اشبيلية الفقيه المالكي درس الفقه و الأصول عند أبي بكر الشاشي و أبي بكر الطرطوشي و قيد الحديث و اتسع في الرواية اتفق مسائل الخلاف و الأصول و الكلام توفي سنة 543 من شهر ربيع 01 في مدينة فاس ودفن بباب الجيسة. ينظر: عياض بن موسى اليحصبي: الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض، تح: ماهر زهير جزار، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1982م، ص66-68.

³ مؤلف مجهول، الحلل الموشية، المصدر السابق، ص140.

⁴ عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص130.

⁵ لسان الدين بن الخطيب السلماني: الإحاطة بأخبار غرناطة، ط1، الموسوعات، مصر 1901م، ص287.

⁶ عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص123.

⁷ الحسين بن محمد شواط، المرجع السابق، ص19.

أما الحياة الفكرية فلم يكن لها نشاط ، بحكم أن العلماء في تلك الفترة اشتغلوا بكتب الفروع الفقيهه خاصة مذهب مالك وقل النظر في كتب الفكر والفلسفة وعلم الكلام، وضيف عليها الى أن جاء عهد الموحدين فكانوا على النقيض تماما من ذلك¹ ، فقد دان الموحدين بأخذ مباشرة من الكتاب والسنة، دون الاقتصار إلى مذهب معين² على طريقة الظاهرية هذا فيما يخص الفقه وأما العقائد والأصول فيثبتونها على طريقة أهل الكلام والإشاعة وهذا راجع لتأثر صاحب هذه الدعوة محمد بن تومرت حين رحلته الى المشرق بأعلام الفكر والدين³ وازدهرت الحياة الفكرية والعلمية واشتغل الناس بكتب علم الكلام والفلسفة والأدب وغيرها⁴ .

¹ عبد الرحمن الجليلي، المرجع السابق، ص409.

² مبارك بن محمد المليي، المرجع السابق، ص306.

³ مبارك المليي: المرجع السابق، ص307.

⁴ أبي العباس احمد القلقشدي: الصيح الأعشى في صنعة الناشئ، د.ط، مطبعة العامرية، القاهرة، 1915م، ص191.

الفصل الأول

التعريف بالقاضي عياض

المبحث الأول: سيرته الذاتية.

المبحث الثاني: سيرته العلمية والدينية.

يعتبر القاضي عياض شخصية من الشخصيات المشهورة، التي ارتبط إسمها بالعلم الشرعي والديني، حيث ساهمت في هذا المجال بشكل كبير، وهذا ما دعانا الى التعرف على سيرته بشقيها الذاتي والعلمي فالشق الذاتي نحاول فيه التعرف على أصله ومولده ونشأته وأخلاقه، والشق العلمي، هذا الشق الذي يعبر عن الحياة العلمية للقاضي عياض، ونذكر فيه رحلاته في طلب العلم، وشيوخه وتلاميذه وما ألف من مؤلفات وكتب تخدم المجال الذي اعتنى به.

المبحث الأول: السيرة الذاتية

المطلب الأول: نسبه وأصله:

1- نسبه:

ننقل نسب القاضي عياض من أقرب المصادر إليه هو ابنه محمد أبو عبد الله، حيث يقول معرفا بنسب والده " هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض بن محمد بن عبد الله بن موسى بن عياض اليحصبي"¹ ، ثم يعقب ابنه قائلا "كان أبي رحمة الله عليه يقول " لا أدري هل محمد والد عياض أو بينهما رجل هو جده"² وقد وقع اختلاف في بعض المصادر في إسم جده عمرو ، فجاء في معجم ابن الآبار (ت 658هـ/1260م) ذكر النسب على النحو التالي " هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو " من غير ذكر النون³ وكذلك عند الكتاني في فهرس الفهارس⁴ ، وجاء

¹ اليحصبي:نسبة الى يحصب بضم الصاد وكسرهما و تنسب يحصب الى قبيلة من حمير ينظر؛شهاب الدين احمد بن محمد المقرئ: أزهار الرياض في أخبار عياض، تح: مصطفى السقا وآخرون، ط،لجنة التأليف و الترجمة،القاهرة،1939م،ج1،ص28.

² أبو عبد الله محمد بن عياض :التعريف بالقاضي عياض، تح: محمد بن شريفة، ط2، وزارة الأفاق و الشؤون الإسلامية، الرباط، المغرب،1982م، ص2.

³ محمد بن عبد الله بن الآبار: المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدي،دار الكتاب العربي،القاهرة،1967م،ص306.

⁴ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني: فهرس الفهارس و الإثبات و معجم المعاجم و المشيخات و المسلسلات، تح: إحسان عباس، دار العربي الإسلامي، بيروت،1982م، ص797.

عند ابن خلكان (ت687هـ/1288م) "هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمر..."، من غير ذكر الواو والنون¹، وكذلك نقل الذهبي في سيره نسبه موافقا لابن الأبار في ذكر إسم جد القاضي عياض عمرو دون ذكر النون².

2- أصله:

لطالما عرف القاضي عياض باليحصبي السبتي وهو لقب معروف عند المؤرخين³ واليحصبي نسبة الى يحصب وهي قبيلة من حمير، سميت بإسم جدهم يحصب بن مدرك⁴ بن حمير وعند ابن عبد البر يحصب بن مالك بن حمير⁵، وقال ابن الأثير "اليحصبي بفتح الياء وسكون الحاء وكسر الصاد المهملة وقيل بضمها وكسر الياء الموحدة هذه النسبة الى يحصب وهي قبيلة من حمير، وهو يحصب بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد الشمس بن وائل بن غوث، وينسب إليها خلق كثير وأكثرهم نزلوا الشام ومصر منهم العلاء بن عتبة اليحصبي من أهل الشام، يروي عن خالد بن معدان روى عنه الاوزاعي ومعاوية بن صالح وغيرهما"⁶. وبهم سميت قلعة يحصب بالأندلس⁷ ومن باب تسمية المكان بمن نزل فيه⁸ وبهذا يعلم أن القاضي عياض عربي الأصل والسلالة عريق في حمير، وبلنقي نسبه

¹ ابن خلكان، المصدر السابق، ج3، ص483.

² شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الارنؤوط و محمد نعيم العرقسوسي، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996م ج20، ص213.

³ أبو الحسن بن عبد الله النبهاني المالقي الاندلسي: تاريخ قضاة الأندلس، تح: لجنة إحياء التراث العربي، ط5، دار الأفاق، بيروت، 1983م، ص107؛ المقري، المصدر السابق، ج1، ص26؛ ابن خلكان، المصدر السابق، ص483؛ المكناسي، المصدر السابق، ص498؛ الذهبي، المصدر السابق، ص213؛ ابن الأبار، المصدر السابق، ص294.

⁴ المقري، المصدر السابق، ج1، ص26.

⁵ أبو عمر يوسف بن عبد البر: الانباه على قبائل الرواة، تح: إبراهيم الابياري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، 1985م، ص133.

⁶ ابن لأثير الجزري: اللباب في تهذيب الأنساب، د.ط، دار الصادر، بيروت، لبنان، د.س، ج3، ص407.

⁷ قلعة يحصب: تنسب الى يحصب وتعرف ايضا بقلعة يعقوب أو القلعة السعدية أي قلعة بني سعيد وهي إحدى مدن غرناطة قال عنها الحجاري مؤلف المسهب هي رباط جهاد و حصن أعيان و أمجاد. ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة المصدر السابق، ص23.

⁸ البشير علي الترابي: القاضي عياض وجهوده في علمي الحديث دراية و روية، ط1، دار ابن حزم، بيروت لبنان، 1997م، ص68.

بنسب الإمام مالك بن انس¹ وكان أجداده بالأندلس يسكنون جهة بسطة² ، من أعمال جيان³ قال ابن الآبار في ترجمته " إستقر أجداده في القديم بجهة بسطة ثم انتقلوا منها إلى مدينة فاس⁴ ثم إلى سبتة⁵ وقال صاحب كتاب تاريخ قضاة الأندلس " وأصله من هويئة بسطة⁶، وكما ذكر ابن الآبار أن أجداده انتقلوا من الأندلس الى مدينة فاس ثم المغرب ثم سبتة ، وقد وافق ذلك ما قاله الذهبي في تذكرة الحفاظ من "أن أصله أندلسي ، تحول جده الى فاس ثم سكن سبتة"⁷ ويذكر الذهبي أيضا في كتابه الآخر سير أعلام النبلاء فيقول "تحول جدهم من الأندلس الى فاس ثم سكن سبتة"⁸، وقد كان لهم استقرار بالقيروان⁹ ، كما نقل ابن فرحون في الديباج المذهب عن ولده محمد فيقول " كان أجدادنا في القديم بالأندلس

¹ مالك بن انس: هو أبو عبد الله مالك بن انس بن مالك بن أبي عامر بن حرث الاصبحي المدني إمام دار الهجرة ولد سنة 95هـ وتوفي سنة 179هـ له من التصانيف الموطأ في الحديث ورسالة الى هارون الرشيد. ينظر: عبد الغني الدقر:الإمام مالك بن انس إمام دار الهجرة، ط3، دار القلم، دمشق، سوريا، 1998م، ص21.

² بسطة :مدينة بالأندلس بالقرب من وادي اشرو وهي متوسطة المقدار حسنة الوضع عامرة أهلة حصينة ذات أسوار و بها تجارات و بينها وبين جيان ثلاث مراحل. للمزيد ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص113.

³ جيان: مدينة بالأندلس بينهما و بين بياسة عشرون ميلا تقع في سفح جبل عال جدا و قصبته من القصاب الموصوفة بالحصانة و غر المدن و شريف البقاع، وفي داخلها عيون و ينابيع مطردة وهي كثيرة الخصب رخيصة الأسعار كثيرة الحوم و العسل و لها أزيد من ثلاثة آلاف قرية كلها يربي فيها دود الحرير و على سير منها نهر بلون و هو نهر كبير عليه ارحاء كثيرة و بها مسجد و علماء كثرة. المزيد ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص183.

⁴ فاس: مدينة عظيمة وهي قاعدة المغرب يأتي من عيون يسمى صنهاجة و يدور عليها سور عظيم أسست عدوة الأندلس في سنة 192هـ و عدوة القرويين في 193هـ في ولاية إدريس بن إدريس الفاطمي. ينظر: المصدر نفسه، ص434.

⁵ ابن الآبار، المصدر السابق، ص294.

⁶ النبهاني، المصدر السابق، ص101.

⁷ شمس الدين الذهبي: تذكرة الحفاظ، نص: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، ط16، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.س، ج7، ص1304.

⁸ شمي الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ص213.

⁹ القيروان: مدينة عظيمة بافريقية بناها عقبة بن نافع الفهري تقع في الأقاليم الثالث طولها إحدى و ثلاثون درجة و أربعون دقيقة و ليس بالغرب مدينة أجمل منها و هي في طرق البر و أجمة عظيمة لا يشقها الحيات من تشابك أشجارها و تم اختيار هذا الموضوع لبعده عن الأعداء في البحر. للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص103.

ثم انتقلوا الى مدينة فاس ، وكان لهم استقرار بالقيروان لا أدري قبل حلولهم بالأندلس أو بعد ذلك انتقل عمروون الى سبتة بعدما سكن فاس "1.

المطلب الثاني: مولده:

ولد القاضي عياض في مدينة سبتة² التي تقع في المغرب وفي النصف الثاني من القرن الخامس الهجري وبالتحديد في منتصف شعبان عام (476هـ/1083م)، كما جاء عن ابنه محمد الذي يقول في كتابه التعريف بالقاضي عياض " ثم ولد لموسى ابنه عياض أبي رحمة الله عليه وعلى جميعهم فيما رأيت بخطه في النصف من شعبان عام (476هـ/1083م) بسبتة"³، ومما يؤكد صحة هذا التاريخ الذي نقله ابنه هو ما ذكره تلميذه ابن شكوال (ت578هـ/1182م) في كتابه الصلة " كتب لي القاضي بخطه يذكر أنه ولد في منتصف شعبان سنة ست وسبعين وأربعمئة"⁴ ونذكر صحة قول ابنه وتلميذه في تاريخ ميلاده، لأن هناك من خالف كابن فرحون الذي يرى مولده سنة ست وتسعين وأربعمئة⁵. وابن كثير الذي ذكر أنه ولد سنة (446هـ/1054م)⁶ وقد صرح بعض الدارسين لتاريخ أن هناك إجماعا واتفاقا أنه ولد في سنة (476هـ/1083م)، وأنه لم يرى خروجاً وشدوداً عن هذا الإجماع، والنقولات الأخيرة لابن فرحون وابن كثير تبيّن أن ليس في المسألة إجماعاً وإن كان صحة قول ابنه أقوى⁷، وهذه الاختلافات سواء كانت في النسب أو في تاريخ الميلاد من بعض المشاركة راجعة لأسباب منها؛ بعد المسافة، وقد أشار الى ذلك المقري

¹ ابن فرحون: المصدر السابق، ص64.

² سبتة: مدينة قديمة على الخليج الرومي المعروف بالزقاق و هي تقابل الجزيرة الخضراء و البحر يحيط بها شرقاً و جوفاً للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص103.

³ محمد عياض، المصدر السابق، ص04-05.

⁴ أبو القاسم عبد الله بن سعيد بن شكوال: الصلة، تح: إبراهيم الابياري، ط1، دار الكتاب اللبناني، 1989م، ج2، ص661.

⁵ علي بن فرحون المالكي: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح: محمد الأحمدى، د.ط، دار التراث، القاهرة، مصر، 1972م، ج1، ص41.

⁶ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير: البداية و النهاية، ط2، مكتبة المعارف، لبنان، 1977م، ج12، ص225.

⁷ البشير الترابي، المرجع السابق، ص69؛ حسين شواط، المرجع السابق، ص34.

(ت1041هـ/1631م) في معرض ذكره على النسب فقال "على أن ابن خلكان وغيره من المشاركة ربما يقع لهم الخلط في تاريخ أهل المغرب¹ ، لبعد الديار ولغير ذلك ؛ بما لا يخفى على من مارس علم التاريخ، كما أن الكثير من المغاربة لا يحررون تاريخ المشاركة لما ذكرناه"².

المطلب الثالث: نشأته وأخلاقه:

1- نشأته:

اشتهر القاضي عياض كأحد أبرز العلماء والفقهاء الناشطين في مجال الفقه والعبادة، لما عرف عنه من الأخلاق والفضل، حيث كانت لهذه الشهرة والتألق والرقى أسباب وظروف ومنها نشأته.

لقد نشأ القاضي عياض في أسرة كريمة، معروفة بالعلم والفضل، والإحسان والصلاح والجهاد، يقول المقري نقلا عن ولده محمد "وكان عمرو بن عبد الله بن أبي، رحمهم الله جميعهم رجل خير صالحاً، من أهل القرآن، حجا إحدى عشرة حجة، وغزا مع ابن أبي عامر³ غزوات كثيرة، وانتقل من مدينة فاس إلى مدينة سبتة، بعد دخول بني عبيد⁴ المغرب وكان سبب ذلك أنه كان له ولأبيه نباهة في مدينة فاس"¹.

¹ المغرب: هي الامتداد الجغرافي الذي يبدأ من قرية السلوم وهي قرية غرب الإسكندرية في الجهة الشرقية لشمال إفريقيا إلى المحيط الأطلسي الغربي ومن الشريط الساحلي الشمالي لقارة إفريقيا و الذي يطل على البحر المتوسط أو يصطلح عليه بحر الروم إلى جنوب الصحراء الكبرى بلاد السودان. للمزيد ينظر: عبد الله محمد جمال الدين: الدولة الفاطمية، د.ط، دار الثقافة، القاهرة، مصر، 1991م، ص11.

² المقري، المصدر السابق، ص25.

³ هو محمد ابن عبد الله بن عامر محمد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك، المعافري دخل جده عبد الملك مع طارق بن زياد مولى موسى بن النصور ونزل الجزيرة، فزادت أهلها، وخدم منهم محمد أبو عامر بن الوليد، وابنه عامر في الدولة الأموية، فكان ابن أبي عامر يمتاز بالذكاء وتدرجه في الحكم حتى استطاع أن يؤسس دولة قامت على انقاض الأمويين سميت بالدولة العامرية وتوفي سنة (392هـ/1002م). بمدينة سالم. ينظر: سان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام، المصدر السابق، ص 59-81؛ ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج2، ص 247.

⁴ هم الشيعة الفاطميون ونسبة الإمام إلى أبو محمد عبيد الله الملقب بالمهدي، وهو أول من ظهر من الشيعة في المغرب ولد سنة 259 بالكوفة وكان داعيته بالمغرب أبو عبد الله الشيعي وهو من صنعاء باليمن، حيث قامت لهم دولة بالمغرب ثم

ولم يعرف للقاضي عياض في صغره لهو الأطفال، وقد ربته أسرته على الجد والمثابرة منذ نعومة أظفاره، ولقد وجد نفسه في مدينة عظيمة، تغنى لعظمتها الشعراء، وكانت تعج بالعلماء والعباد، والمجاهدين، فكانت بيئته ذات مقومات إسلامية منضبطة، نشأ في ظلها نشأة صالحة خيرة، ولقد سبقت مدينة سبته مسقط رأس القاضي عياض في المجال العلمي وفي غيره من المجالات، نظرا لأنها تزخر بالعلماء من أهلها والوافدين إليها والعابرين بها وما يدل على ذلك تصريح القاضي عياض في غير مرة في كتابه الغنية فيقول عن العلماء "واجتاز ببلدنا -يعني سبته-² وفي مرة أخرى يقول: "ولي ببلدنا الخطبة- يعني الجمعة- ويقول واستوطننا ببلدنا"³ ويقول: و"قرئ عليه ببلدنا"⁴.

حيث أصبحت سبته مركز إشعاع فكري وعلمي يجذب طلبة العلم وحملته من المغرب والمشرق، يلتقون فيها وذلك لأنها نقطة عبور إلى الأندلس⁵، وكانت السلطة السياسية آنذاك تحترم العلم وتجل أهله وتقدمهم وتكرمهم وتقف عند أحكامهم ومشوراتهم⁶، فكان هذا الجو ملائماً لطفل عياض لتعلم وحفظ القرآن.

وفي الجانب التعبدية، نجد الطفل عياض قد تربي في مسجد أسرته، مواظب على الصلاة فيه، قد أثر ذلك على صفاته وأخلاقه، فكان كما ذكر ابنه محمد عاملاً مجتهداً، صواماً يقوم ثلث الليل الآخر لجزء من القرآن، لم يترك ذلك قط على أية حال، حتى يغلب عليه، متديناً ورعاً متواضعاً، متشرعاً⁷.

=انتقلوا إلى مصر وأسسوا القاهرة. ينظر: محمود مقديش: نزهة الأنتظار في عجائب التواريخ والأخبار، تح: علي الزواوي ومحمد محفوظ، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988م، مج1، ص 327-357.

¹ - المقري، المصدر السابق، ص 28.

² - القاضي عياض، الغنية، المصدر السابق، ص 68.

³ - المصدر نفسه، ص 76.

⁴ - نفسه، ص 79.

⁵ - محمد بن عياض، المصدر السابق، ص 5.

⁶ - المصدر نفسه، ص 5.

⁷ - محمد بن عياض، المصدر السابق، ص6.

وقد عظم الحس الجهادي في نفس الطفل عياض، وتأثرت به شخصيته، فقد تزامنت طفولته مع تحرك الجيوش المرابطية، لتوطين سلطانهم، وقمع الثائرين عليهم، فنرى هنا تعوده على رؤية الجند وسماع قعقة السلاح، فسار ذلك مألوف لديه، خاصة وأن ذلك ارتبط بهدف نبيل وهو نصره الدين وارساء قواعده¹، ولما استوفى القاضي عياض الثلاثين من عمره أصبح عالمًا، قد أخذ من كل فنٍ بطرف، ولكنه لم يقتنع بذلك فهم بالرحلة للمزيد من السماع من الشيوخ، والأخذ من علمهم²

(ب) أخلاقه: لقد تميز القاضي عياض بمجموعة من الأخلاق والمكارم الجبليّة والمكتسبة جعلته يحض بقبول لدى الأوساط العامة والخاصة، وقد نقل لنا ابنه محمد في كتابه الذي عرّف فيه سيرة والده فقال: «كان أبي عفة وصيانة، مرضي الحال محمود الأقوال والأفعال موصوفاً بالنبيل والفهم والحنق، طالبا للعلم حريصاً عليه، مجتهداً فيه، معظماً عند الأشياخ من أهل العلم، كثير المجالسة لهم، والإختلاف إليهم إلى أن برع أهل زمانه»³ ويذكر أيضاً في موضع آخر «... حسن المجلس كثير الحكاية والخير ممتع المحضر، عذب الكلام مليح النادرة صبوراً حليماً جميل العشرة، كثير الصدقة دؤوباً على العمل، يكره الإطراء والإفراط في التصنع»، ويذكر في موضع آخر أيضاً «لينا في غير ضعف لا تأخذه في الله لومة لائم، كان يأخذ أموره بالملاطفة والسياسة ما استطاع وإلا تقوى وكان يلاطف الأمراء فإن امتنعوا عن الحق تقوى عليهم وكان غير هيب لهم، محبباً في قلوب العامة والخاصة وكان جميل الوجه لطيفاً الرائحة نظيف الملبس، باهي المركب»⁴، وقد كان القاضي عياض زاهداً، ودليل ذلك أنه رغم ميراث أبيه الذي تركه له، والذي يقدر بنحو سبعة عشر ألف دينار، لم يشتغل به واشتغل بطلب العلم، وترك نصيبه لأخيه الأكبر، والذي أصبح ينفق

¹ - البشير الترابي، المرجع السابق، ص 38.

² - المرجع نفسه، ص 42.

³ - القاضي عياض، المصدر السابق، ص 6-9.

⁴ - المصدر نفسه، ص 9.

عليه من هذا المال إلى أن توفي ولما شغل منصب القضاء، كان واسع النفقة، فأنفق أكثر ميراثه من أبيه¹.

ومن الأخلاق التي اشتهر بها القاضي عياض؛ تواضعه وإنصافه للعامة والخاصة ولطابه وتلامذته، ومستفتيه، وهو ما عرفناه من خلال ما نقله المقري في أزهار الرياض عن حكاية أحد طلاب القاضي عياض، حين كان قاضيًا في غرناطة²، وكان جماعة من الطلبة والأعيان، يسمعون تأليفه المسمى بالشفاء، فلما وصل القارئ إلى هذه الكلمات: «ومَنْ قَسَمَ به أقسط»³ قرأه قسط، فنبه الطالب أنه لا يجوز أن تقرأ هكذا، لأن قَسَطَ بمعنى جار، وأقسط بمعنى عدل وهو المقصود من هذا الموضع، فتعجب القاضي عياض، وقال لمن حضر، إن هذا الكتاب قد قرأه علي من العالم ما لا يحصى كثرة، ولا أقف على منتهى أعدادهم، وما تتبه أحد لهذه اللفظة، فأقره وشكره، وهذا يبين لنا تواضع القاضي عياض وإنصافه رغم مكانته العلمية ورفعة منصبه⁴.

¹ - البشير الترابي، المرجع السابق، ص 99.

² - غرناطة: من أشهر بلاد الأندلس غرناطة، وقيل إن الصواب أغرناطة بالهمز. ومعناه بلغتهم الرمانه، وتسمى كورة البيرة التي منها غرناطة، ديمشق، لأن جند دمشق نزلوها، ويشقها نهر يسمى حد ورأوا على جنوبها نهر الثلج المسمى شنيل، ومبدأه جبل شلير (وهو جبل الثلج) وطوله يومان وعلوه في غاية الارتفاع والثلج به دائما في الشتاء والصيف وهي تقع شمال الجبل. ينظر: أحمد بن محمد المقري السلماي: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دط، دار صادر، بيروت، 1398هـ/ 1968م، مج 1، ص 138.

³ - المقري، أزهار الرياض في أخبار عياض، المصدر السابق، ج 3، ص 13.

⁴ - المصدر نفسه، ص 13.

المطلب الرابع: وفاته وأسبابها

1- وفاته:

لقد اتفق¹ من كتب في سيرة القاضي عياض، ومن ترجم له، على وفاته في سنة أربع وأربعين وخمسمائة هجرية، فذكر ابنه أنه مات في ليلة الجمعة التاسعة من جمادي الآخر، فقال: "فرجع إلى الحضرة، فأقام بها مريضاً نحو ثمانية أيام، ثم مات -عفا الله عنه- ليلة الجمعة -نصف الليل- التاسعة من جمادي الآخرة...."²، وذكر ابن خلكان³، وابن الآبار⁴، أنه مات في السابع من جمادي الآخرة، واتفقوا في المكان الذي مات فيه، وهو مراكش، حيث دفن بباب إيلان⁵، داخل المدينة، ولم يخالفهم في المكان إلا ابن خلدون فقد ذكر في تاريخه أنه مات بتادلا، فقال: "... سخطته الدولة آخر الأيام حتى مات مغرباً من سبته بتادلا"⁶ مستعملاً في خطة القضاء بالبادية⁷، ويكون قول ابن خلدون في موته بالبادية حسب بعض الدارسين للتاريخ وهم؛ سببه ملاسبات الظروف علاقته بعبد المؤمن والدولة الموحدية⁸.

¹ - البشير الترابي، المرجع السابق، ص 107.

² - محمد بن عياض، المصدر السابق، ص 13.

³ - ابن خلكان، المصدر السابق، ص 485.

⁴ - ابن الآبار، المصدر السابق، ص 296.

⁵ - إيلان: وهي أغمات يلان مدينة صغيرة في أسفل جبل درن وهي بالقرب من مراكش، وتقع في الشرق من أغمات وريكة، وبينهما ستة أميال. للمزيد. ينظر: الشريف الإدريسي، المصدر السابق، ص 231.

⁶ - تادلا: أو تادلي من بلاد المغرب، وهي مدينة قديمة أزلية فيها آثار للأول بني المرابطون فيها، حصناً منيعاً، حيث عمّر، وفيها أسواق وجامع والبلد كله كثير الخيرات والأرزاق وأحاطت به القبائل من كل الجهات. للمزيد ينظر: محمد الحميري، المصدر السابق، ج6، ص 127.

⁷ - ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 308.

⁸ - البشير الترابي، المرجع السابق، ص 108.

2- أسباب وفاته:

أما عن سبب موته، فقد تشعبت وتباينت آراء الناس فيه¹، ويمكن حصر هذه الآراء في أربعة أقوال:

-**القول الأول:** وهو الأرجح، والذي يذكر أن القاضي أصابه مرض خارج مراكش، ثم نقل إليها مريض، ثم توفي بها، وهذا القول مأخوذ من أقرب المصادر إلى القاضي عياض وهو ابنه محمد، حيث يقول: "إن القاضي خرج في صحبة عبد المؤمن إلى غزوة دكالة، فمرض بعد مسيرة مرحلة، فأذن له في الرجوع إلى الحضرة، فأقام بها مريضاً نحو ثمانية أيام ثم مات"².

-**القول الثاني:** وهو أنه مات مسموماً، وقد سمّه يهودي، وينقل هذا القول صاحب الديباج المذهب، فيقول: "و قيل أنه مات مسموماً سمّه يهودي" وهذا القول يفتقر إلى الأدلة، حيث لم ينقل في المصادر الأولى، كابنه محمد وتلميذه ابن بشكوال، وابن الآبار وغيرهم³.

-**القول الثالث:** وهو أنه قتل بأمر الموحدين، بسبب إدعاء أهل بلده أنه لا يخرج يوم السبت، يعني أنه يهودي، وأنه كان مشتغلاً بتصنيف كتاب الشفا، وهذا القول مخالفته ظاهره، ثم إن اشتغاله بتصنيف كتاب الشفا في ذلك الوقت، غير صحيح، إذ أنه كما ذكرنا سابقاً كان يقرأه في قضاء غرناطة على طلابه⁴.

-**القول الرابع:** وهو أنه مات فجأة في الحمام، يوم دعا عليه الإمام الغزالي، لما بلغه أنه أفتى بحرق إحياء علوم الدين، وهو كذلك قول مخالفته ظاهرة، فقد توفي الغزالي في سنة خمس وخمسمائة، وتوفي القاضي في سنة أربعة وأربعين وخمسمائة⁵.

¹-البشير الترابي المرجع السابق، ص 108.

²- محمد بن عياض، المصدر السابق، ص 13.

³- ابن فرحون، المصدر السابق، ص 51.

⁴- المقري، المصدر السابق، ص 13.

⁵- أبي العباس أحمد بن قنفذ القسنطيني: الوفيات، تح: عادل نويهض، ط4، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت

1403هـ/1983م، ص 267.

المبحث الثاني: السيرة العلمية للقاضي عياض

المطلب الأول: طلبه العلم ورحلاته العلمية

إن مما يشترط في طالب العلم ومبتغيه، وأن يتميز بصفات ضرورية ليخوض هذا المجال، وقد هيا الله تعالى للقاضي عياض وحباه بصفات ومميزات فريدة، منذ نعومة أظفاره كانت سبباً في تألقه وبلوغه مراتب عالية في العلم، ومن هذه الصفات الملكة الذهنية النادرة والتي قوامها الذكاء الحاد وسرعة الاستيعاب والحفظ، فكانت هذه السمة ملازمة للقاضي طوال سيرته العلمية¹، يقول ابن بشكوال في ترجمته "وهو من أهل التفنن في العلم والذكاء واليقظة والفهم"²، ومما يشترط كذلك وهو الجو والمحيط المادي والمعنوي المناسب، وقد ولد ونشأ في أسرة محافظة وثرية تشجع على العلم، وقد حرصت على تعليمه وتكوينه أحسن تكوين، ونشأ في مدينة سبته التي تعج بالعلماء من مختلف التخصصات وتعتبر مركزاً علمياً، مرموقاً، باعتبارها منطقة عبور من وإلى الأندلس، وكذلك عاش معظم حياته في ظل دولة المرابطين التي تحترم العلم، وتجلُّ أهله وقد كانت تعيش استقرار سياسي، فنلاحظ هنا اجتماع عدة شروط ومؤهلات توفرت للقاضي عياض فجعلته يقبل على طلب العلم وتحصيله، والإهتمام به، ويحرص على مجالسة العلماء والاستفادة منهم³.

يقول المقرئ في وصف القاضي عياض "وتحصيلاً لا يفلت قنيصه ولا يسام حريصه، بل لا يحلُّ عقاله، ولا يصدأ مقاله، وطلباً لا تتحد فنونه ولا تتعين عيوبه، بل لا تحصر معارفه، ولا تقصر مصارفه"⁴ وقال ابنه محمد أنه كان "طالباً للعلم، حريصاً عليه، مجتهداً فيه، معظماً عند الأشياء من أهل العلم، كثير المجالسة لهم، والإختلاف إلى مجالسهم، إلى أن برع في زمانه وساد جملة أقرانه، وبلغ من التفنن في فنون العلم ما هو معلوم"⁵.

¹ - البشير الترابي، المرجع السابق، ص 117.

² - ابن بشكوال، المصدر السابق، ص 660.

³ - الحسين شواط، المرجع السابق، ص 63.

⁴ - المقرئ، المصدر السابق، ص 7.

⁵ - محمد بن عياض، المصدر السابق، ص 4.

1- طلبه للعلم في سبته:

تعد مدينة سبته كأول محطة علمية في طريق طلب العلم للقاضي عياض حيث لم يحتج إلى التبكير في رحلة طلب إلى المشرق أو المغرب، وأخبار التي تتحدث عن سبته وعلمائها، ومجالسة القاضي عياض لهم، تدل على أنه حمل في الحداثة، وأما قول الذهبي في سيره "لم يحمل القاضي العلم في الحداثة"¹، فهذا معارض لتلك الأخبار التي وردت عن حياة القاضي في سبته، ويبدو أن الحافظ الذهبي لم يدرك هذه الخاصية لمدينة سبته، ولم يصله شيء عن طلب القاضي على مشايخها والوافدين إليها، ولذلك فلا يعتد بما ذكره².

وسنتطرق إلى ذلك بالتفصيل، حيث بدأ القاضي عياض يحفظ كتاب الله تعالى حتى ختمته عدة مرات وأتقن القراءات السبع برواياتها المشهورة واختلاف القراء³، والتفسير وعلوم القرآن، تلقى ذلك عن مجموعة من كبار مقرئي بلده والوافدين إليها، منهم عبد الله بن إدريس المقرئ (ت 515هـ/1121م)⁴ ومحمد بن عبد الله الموروري (ت 500هـ/1107م)⁵، وعبد الله بن محمد النفري (ت 538هـ/1143)⁶، ومحمد بن عبد الله الأموي المفسر (ت 517هـ/1123م)⁷.

وقرأ اللغة العربية، قواعدها ومتونها وآدابها على فطاحلة النحاة والأدباء واللغويين مثل الأديب أبو بكر محمد بن عبد الله الجزيري (ت 500هـ/1107م)⁸، وأبو علي الحسن

¹ - الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ص 213.

² - الحسين شواط، المرجع السابق، ص 72.

³ - القاضي عياض، الغنية، المصدر السابق، ص 157.

⁴ - ابن بشكوال، المصدر السابق، ص 447؛ ابن الآبار، المصدر السابق، ص 204.

⁵ - أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح: إحسان عباس، ط1، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1392هـ/1973م، ص 329.

⁶ - ابن الآبار، المصدر السابق، ص 214.

⁷ - القاضي عياض، الغنية، المصدر السابق، ص 58.

⁸ - المصدر نفسه، ص 79.

بن علي، شيخ النحويين بسبته (ت 501هـ/1107م)¹، وخلف بن يوسف، أحد أئمة النحاة والأدباء الأخيار (ت 532هـ/1138م)².

وأخذ علوم العقيدة والكلام والجدل والمناظرة على جماعة من المتكلمين والنظار منهم: عبد الغالب بن يوسف السالمي (ت 516هـ/1122م)³،

وعبد الرحمان بن محمد المعافري (ت 502هـ/1108م)⁴، ومحمد بن عمر بن قطري (ت 501هـ)⁵ ومحمد بن عيسى التميمي (ت 505هـ/1111م).

وأخذ علوم السنة رواية ودراية عن جماعة الحفاظ المتقدمين في علم الحديث، منهم: محمد بن عيسى التميمي (ت 505هـ/1111م)⁶، ومحمد بن علي الشاطبي (ت 500هـ/1107م)⁷، وأحمد بن طاهر الأنصاري (ت 467هـ/1074م)⁸، وإبراهيم بن جعفر اللواتي (ت 513هـ/1119م)⁹.

وأخذ الفقه وأصوله عن جماعة من كبار الفقهاء والأصوليين بسبته منهم: أبو عبد الله محمد بن داود بن عطية (ت 525هـ/1131م)¹⁰، وأبو علي الحسين بن عبد الأعلى الكلاعي (ت 505هـ/1111م)¹¹، وأبو محمد عبد الله بن أحمد الأزدي

¹ - ابن الآبار، المصدر السابق، ص 72.

² - أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الغرناطي: صلة الصلة، تح: شريف أبو العلا العدوي، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1429هـ/2008م، ص 207.

³ - ابن بشكوال، الصلة، المصدر السابق، ص 566.

⁴ - القاضي عياض، الغنية، المصدر السابق، ص 165.

⁵ - المصدر نفسه، ص 165.

⁶ - أحمد المكناسي، جذوة الاقتباس، المصدر السابق، ص 252.

⁷ - أبو عبد الله محمد المراكشي، الذيل والتكملة، المصدر السابق، ج6، ص 433.

⁸ - أبو عبد الله محمد بن الآبار القضاعي: التكملة لكتاب الصلة، تح: عبد السلام هرامس، د. ط، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1415هـ/1995م، ج1، ص 43.

⁹ - ابن الآبار، المصدر السابق، ص 54.

¹⁰ - ابن بشكوال، المصدر السابق، ص 874.

¹¹ - جلال الدين السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، مطبعة عيسى الحلبي وشركاه، دم ن، 1384هـ/1994م، ج1، ص 513.

(ت537هـ/1042م)¹، وغيرهم وعلى يد هؤلاء العلماء الأعلام اكتمل التكوين الأساسي لعياض في علوم الشريعة ومعارفها فلم يحتج كما ذكرنا إلى التذكير بالرحلة، حيث أنه ما من عالم ينتقل من المشرق والمغرب وإفريقية إلى الأندلس، وما من عالم ينتقل من الأندلس إلى إفريقية والمغرب والمشرق إلا ويمر بسبته ضرورة، فيهتبل القاضي عياض تلك الفرصة ويتلقى عنه².

2-رحلاته العلمية:

أ- رحلته إلى الأندلس:

إن مستقراً لمسيرة القاضي عياض العلمية وحياته، يجده قليل الأسفار والترحال فبعد طلبه للعلم بسبته، توجه قاصداً الأندلس للأخذ والسماع من علمائها، يقول ابن بشكوال في الصلة عن القاضي عياض "قدم الأندلس طالباً للعلم"³، وكان آنذاك قد قارب الثلاثين من عمره، واشتهر ببلده بسبته، وبرع في جملة من علوم الشريعة، وتم ذلك سنة سبع وخمسمائة في منتصف جمادي الأولى، ويقول ابن فرحون في الديباج المذهب "رحل إلى الأندلس -سنة سبع وخمسمائة- طالباً للعلم"⁴، وقد لقي دعماً من السلطة السياسية، كما هو معروف من رسالة أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين إلى قاضي قرطبة⁵، يبين فيها فضل عياض، وما وصل إليه من درجات عالية في العلم، ويحثه فيها قاضي قرطبة على الاهتمام به⁶.

¹ - ابن الآبار، المصدر السابق، 214.

² - حسين الشواط، المرجع السابق، ص 72.

³ - ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، ص 660.

⁴ - ابن فرحون، المصدر السابق، ج2، ص 47.

⁵ - قرطبة: وهي مدينة عظيمة بالأندلس وسط بلادها وكانت سريراً لملكها وقصبتها وبها ملوك بني أمية، وبينها وبين البصر خمسة أيام، حيث تعد مستقر خلافة بني الأمويين. ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص 324.

⁶ - الفتح بن خاقان: قلائد العيقيان في محاسن الأعيان، تح: حسين يوسف خريوبش، ط1، مكتبة المنار، د م ن، 1409هـ-1989م، مج1، ص 114.

ب-رحلته إلى قرطبة:

كان أول ما توجه القاضي في بلاد الأندلس إلى قرطبة، في مستهل جمادي الآخرة أي بعد 15 يوماً من انطلاقه من سبته، وكانت قرطبة هي حاضرة الأندلس الأولى، تعج بالعلماء وطلاب العلم، ولهذا كانت هي وجهته الأولى، وفيها استقبل بحفاوة من طرف علمائها ومشايخها وهو الآخر حرص على مجالستهم طوال مكوثه في قرطبة والأخذ منهم قال ابن فرحون "وعُني بقاء الشيوخ والأخذ عنهم"¹، فجمع علماً كثيراً في أقل وقت ممكن وذلك لحرصه، يقول ابن بشكوال "وعُني بقاء الشيوخ والأخذ عنهم، وجمع من الحديث كثيراً وله عناية كثيرة به، واهتمام بجمعه وتقييده"².

حتى أنه كان يحضر إلى بيتهم وديارهم، كما أشار إلى ذلك في ترجمة لأحد شيوخه بقرطبة فيقول "قرأت عليه في داره بقرطبة جميع كتاب غريب الحديث"³، ويقول في ترجمة أخرى "قرأت عليه في منزله بقرطبة"⁴، وكان للفترة التي قضاها القاضي عياض في قرطبة أثر واضح في تكوين شخصيته، كما كان لها طيب الأثر على نفسه وعاطفته، وقد حزن حين غادرها، بعد تمام قصده⁵.

ج-رحلته إلى مرسية⁶:

ودع القاضي عياض قرطبة، وقصد مرسية شرق الأندلس، وذلك في يوم الإثنين الخامس والعشرين من محرم سنة ثمان وخمسمائة، ووصلها يوم الثلاثاء الثالث من صفر من

¹ - ابن فرحون، المصدر السابق، ص 47.

² - ابن بشكوال، المصدر السابق، ص 660.

³ - القاضي عياض، الغنية، المصدر السابق، ص 48.

⁴ - المصدر نفسه، ص 59.

⁵ - البشير الترابي، المرجع السابق، ص 77.

⁶ - مرسية: هي مدينة أندلسية، تقع على نهر شقورة بالقرب من مدينة أوريولة، حيث كانت قاعدة تدمير عند الفتح، وفي سنة 216هـ أنشأ الأمير عبد الرحمان بن الحكم مدينة مرسية لتكون عاصمة تدمير ومقر للعمال والقواد، وقام على إنشائها عامله مالك بن جابر بن ليبيد. للمزيد ينظر: محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس العصر الثاني دولة الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1417هـ/1997م، ص 174.

نفس السنة، وكان أمله وقصده، أن يلقي حافظ عهده أبا علي الصدفي، ويأخذ عنه، فوجده مختفياً من السلطة، لرفضه القضاء، فشق عليه ذلك، فانتظره بقية شهر صفر وربيع الأول وانصرف بعض من كان معه من الطلاب لنفاد النفقة، ولما صدر العفو عن أبي علي الصدفي، كتب إلى القاضي عياض يخبره بذلك، ويعتذر لتعطيل رحلته¹، جلس أبو علي الصدفي يسمعُ الناس الحديث، فلزمه القاضي عياض وسمع منه الكثير، كالصحيحين والمؤتلف والمختلف، ومشتبه النسبة للأزدي وغيرها من الكتب، وقد أجاز له الصدفي جميع رواياته².

د- رحلته إلى ألمرية³:

وفيهما أيضاً أخذ عن شيوخها كابن مكحول وابن العربي الذي أجاز القاضي عياض في جميع مروياته⁴، ويقول ابن خاتمية في مزية ألمرية على غيرها من البلاد الأندلسية أن القاضي عياض في رحلته هذه دخل ألمرية، وبها لقيه تلميذه أبو جعفر بن مضاء اللخمي الذي أخذ عنه سماعاً وإجازة⁵ وعاد القاضي عياض إلى سبته غانماً في رحله دامت ثلاثة عشر شهراً، تتلمذه خلالها على ست وثلاثين من أجلة علماء الأندلس في أكبر مدنها وحواضرها العلمية، بخاصة قرطبة ومرسية و إشبيلية⁶، وألمرية وغيرها، وهنا نخرج على أمر

¹ - محمد بن عياض، المصدر السابق، ص 8.

² - القاضي عياض، أزهار الرياض في أخبار عياض، المصدر السابق، ج 3، ص 9.

³ - ألمرية: مدينة كبيرة محدثة من أعمال الأندلس، أمر ببنائها أمير المؤمنين الناصر لدين الله سنة 344هـ وتقع قرب نهر دقلة، حيث كانت تتخذ مرأى ومرصدًا لمدينة بجانة. للمزيد ينظر: عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي: مرصد الأطلال على أسماء الأمكنة والبقاع، تح: علي محمد الجاوي، ط1، دار الجيل، بيروت، 1373هـ/1954م، مج3، ص 1264.

⁴ - القاضي عياض، الغنية، المصدر السابق، ص 148.

⁵ - البشير الترابي، المرجع السابق، ص 78.

⁶ - إشبيلية: وهي أحد المدن الأندلسية وهي قديمة أزلية، تقع على نهر قرطبة، بينها وبين قرطبة مسيرة ثلاثة أيام، بناها بولينس القيصر، حيث فتحها المسلمين في شعبان 94هـ بقيادة موسى بن نصير. للمزيد ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص 58؛ الحميري: صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، ط2، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1408هـ/1980م، ص 18.

مهم وهو عدم رحلة القاضي عياض إلى المشرق لطلب العلم أو قضاء فريضة الحج، وقد كان لهذا أسباب نختصرها في النقاط التالية:

- كثرة العلماء ببلده والأندلس

- اشتغاله بالقضاء والفتوى

- الوضع السياسي بعد ظهور الموحدين

ومن أراد أن يستزيد فليرجع إلى كتاب بعنوان القاضي عياض عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته، لحسين بن محمد شواط، في أسباب عدم رحلته إلى المشرق¹.

المطلب الثاني: شيوخه:

إن شيوخ القاضي عياض الذين أخذ عنهم العلم وسمع منهم وأجازوه كثر، ولقد أحصى في كتابه الغنية ما يقرب المائة شيخ، يقول ابن خلكان نقلاً عن ابن الأبار "وشيوخه يقاربون المائة"²، وهذا الكلام نقله أيضاً الذهبي في سيره عن ابن خلكان³، وقال ابن فرحون "وقد اجتمع له من الشيوخ -بين من سمع منه وبين من أجازه- مائة شيخ"⁴.

ونقتصر في بحثنا على أبرز شيوخه، ممن كان لهم فضل في تكوين شخصيته العلمية، ومن أراد الاستزادة فليرجع إلى كتاب القاضي عياض الغنية فهو يتضمن فهرس موسّع في ذكر شيوخه.

1- شيوخه بسبته:

لقد كان أول ما طلب القاضي عياض العلم بسبته، فأخذ عن شيوخها، وهم كثر، لا يتسع المجال لذكرهم، وسنذكر بعضهم، وقد وصل عدد شيوخ القاضي عياض بسبته إلى ما يزيد عن الأربعين شيخاً من العلماء، ليسوا كلهم من أهلها، فمنهم من وفد إليها، ومنهم من

¹ - حسين شواط، المرجع السابق، ص 80.

² - ابن خلكان، المصدر السابق، ج3، ص 485.

³ - الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ص 217.

⁴ - ابن فرحون، المصدر السابق، ص 48.

استوطنها، ومنهم من عبر بها، فكانت هذه فرصة سانحة، للقاضي عياض للأخذ عنهم والاستفادة منهم:

(أ) **القاضي الفقيه أبو عبد الله محمد بن عيسى بن حسين التميمي**: ولد بفاس سنة (428هـ/1037م)، من أجل شيوخ سبته ومقدمهم في الحديث والفقه، وكان كثير الكتب والضبط، وقد لازمه القاضي عياض كثيرًا للتفقه والمناظرة والسماع، وأخذ عنه معظم كتب الحديث والفقه، من ذلك الموطأ والصحيحان والمدونة وأجازه في جميع المرويات وتوفي سنة (505هـ/1111م)¹.

(ب) **الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر بن أحمد اللوتي**: يعرف بابن الفاسي كان من أهل الفقه والعلم والأحكام، صحب القاضي أبا الأصبع بن سهل وتفقه عنده وسمع منه الكثير، صحبه القاضي عياض وقرأ عليه الموطأ وشرح غريب الحديث لأبي عبيد وغيرها توفي في الثامن من جمادي الآخرة سنة ثلاث عشرة وخمسمائة².

(ج) **أحمد بن عمران الأنصاري، أبو العباس**: محدث له رحلة وسماع، قرأ عليه عياض كتاب إصلاح الغلط لابن قتيبة، وأحاديث عالية الإسناد عن الحياتي، وهو من أهل طليطلة وسكن سبته³.

(د) **الحسن بن عبد الأعلى الكلاعي أبو علي**: من أهل سفاقس سكن المغرب كثيرًا والأندلس ودرس في بلاد المعاهدة، واستوطن سبته، جالسه القاضي عياض كثيرًا وأخذ عنه، وكان فقيها متكلمًا عارفًا بعلم الهندسة والحساب والفرائض توفي بأغمات في محرم سنة خمس وخمسمائة⁴.

¹ محمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تح: عبد المجيد خيالي، ط1، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ/2003م، ج1، ص183.

² القاضي عياض، الغنية، المصدر السابق، ص119.

³ ابن الآبار القضاعي، التكملة لكتاب الصلة، المصدر السابق، ج1، ص33.

⁴ القاضي عياض، الغنية، المصدر السابق، ص140؛ ابن الآبار القضاعي، المصدر السابق، ص217؛ والعباس بن إبراهيم السملالي: الإعلام بمن حل مراكز وأغمات من الأعلام، مر: عبد الوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1418هـ/1997م، ج3، ص131.

ه) **الحسن بن علي التاهرتي**، أبو علي: شيخ سبته في النحو، مشهور بالصلاح، درس كتاب علوم الحديث للحاكم، وسمع منه القاضي عياض مشكل الحديث لابن فورك وغيرها توفي في التاسع من ذي الحجة من سنة إحدى وخمسمائة¹.

و) **الحسين بن محمد الصدفي**، أبو علي الحافظ: أصله من سرقسطة، ولد بها سنة أربع وخمسين وأربعمئة، وقد طلب العلم على نحو مائتي شيخ، ودخل سبته مرتين، ولم يحصل القاضي عياض أثناءها، واستوطن مرسية لطلب العلم، ومما سمع عليه القاضي عياض في مرسية: كتابي الصحيحين البخاري ومسلم وكتاب الجامع والشمال للترمذي ورياضة المتعلمين الأصبهاني وغيرها من الكتب، توفي في المعركة حين خرج للغزو سنة أربع عشر وخمسمئة بوقعة قنتدة في الثغر الأعلى ليست بقين من ربيع الآخر².

ز) **خلف بن يوسف بن فرتون النحوي**: من أهل شنترين ويكنى أبا القاسم كان من أئمة النحاة والأدباء، وكان يقرأ الناس النحو والأدب بالأندلس وللمغرب وانتقل إلى العدة فسكن سبته، ولقد جالسه القاضي عياض كثيراً وذاكره، توفي في ذي القعدة سنة اثنين وثلاثين وخمسمئة³.

ح) **عبد الغالب بن يوسف السالمي**: يكنى أبو محمد من المتكلمين، كان إماماً فاضلاً وله تصانيف كثيرة، صاحبه القاضي عياض كثيراً بسبته مدة مقامه بها، وناوله كثيراً من مجموعاته، توفي بمدينة مراكش سنة عشرة وخمسمئة⁴.

¹ - القاضي عياض، الغنية، المصدر السابق، ص 141؛ السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، المصدر السابق، ج1، ص 513.

² - القاضي عياض، الغنية، المصدر السابق، ص 129؛ ابن بشكوال، المصدر السابق، ج1، ص 235؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، المصدر السابق، ج4، ص 1253.

³ - القاضي عياض، الغنية، المصدر السابق، ص 149؛ السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، المصدر السابق، ج1، ص 557.

⁴ - القاضي عياض، الغنية، المصدر السابق، ص 169؛ ابن بشكوال، المصدر السابق، ص 565.

(ط) عبد الله بن إدريس المقرئ: ويكنى أبو محمد، قرأ عليه القاضي عياض القرآن برواية نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر بطرقها، توفي سنة، خمس عشرة وخمسمائة¹.

2- شيوخه بالأندلس:

كانت رحلة التي قضاها القاضي عياض إلى الأندلس، لم تتعدى ثلاثة عشر شهراً حيث سمع لعدد كبير من مشايخها إلى ما يزيد عن خمسة وثلاثين شيخاً، وقد انتقى معظمهم مسبقاً، ونسخ من أصولهم وسماعاتهم، حتى يعرضها عليهم وسنختر في ذكرهم وهم كالتالي:

أ. أحمد بن عبد الرحمان الخزرجي أبو جعفر: أحد الشيوخ القراء بجامع قرطبة المتصدرين الأعلیاء السند، ولد سنة إحدى وعشرين وأربعمائة لقيه القاضي عياض بقرطبة وجالسه توفي في قرطبة في ربيع الأول سنة إحدى عشرة وخمسمائة وهو ابن تسعين سنة².

ب. أحمد بن محمد الخولاني، يكنى أبو عبد الله: ويعرف بابن الحصار من أشبيلية، ولد سنة ثمان وأربعمائة، وكان واسع الرواية، وقد أجاز القاضي عياض في جميع رواياته، وحدثه بالموطأ وفهرست أبيه الكبيرة، توفي في شهر شعبان سنة ثمان وخمسمائة³.

ج. أحمد بن محمد بن محمد مخلص، أبو القاسم: من أجل بيوت العلم بقرطبة وأعرفهم في ذلك وبقيّة مشيختها، سمع من أبيه وأبي عبد الله بن منظور وتفقّه عند ابن الطلاع، حدّث عياض بمسند جده بقي بن مخلد ومصنّفه وأجازّه جميع مروياته، توفي سنة ذي الحجة اثنتين وثلاثين وخمسمائة⁴.

د. خلف بن إبراهيم بن خلف، أبو القاسم: ولد سنة سبع وعشرين وأربعمائة زعيم المقرئين بقرطبة، ومتقلّد خطبتها، متقدم في علم اللغة، ومشارك في الفقه، أخذ عنه القاضي عياض

¹ - القاضي عياض، الغنية، المصدر السابق، ص 157؛ ابن الأبار، المعجم، المصدر السابق، ص 204.

² - القاضي عياض، الغنية، المصدر السابق، ص 117.

³ - المصدر نفسه، ص 106؛ ابن بشكوال، المصدر السابق، ج 1، ص 126.

⁴ - القاضي عياض، المصدر السابق، ص 98.

طبقات القراء لابن عمرو المقرئ، وشرح الجمل المقدمة لابن شاذ وتوفي بقرطبة سنة السادس عشر من صفر سنة إحدى عشرة وخمسمائة¹.

هـ. أحمد بن محمد اللخمي أبو جعفر: ويعرف بابن المرخي أصله من اشبيلية وسكن قرطبة وكان متمكن لعلم الحديث والأدب والخبر، قرأ عليه القاضي بعض حديثه بقرطبة وصحبه كثير وذاكره توفي ليلة الجمعة الثامن من ربيع الأول سنة ثلاث وثلثين وخمسمائة².

و. سراج بن عبد الملك بن سراج الأموي، أبو الحسين: زعيم وقته في علم الأدب والغريب والشروح، حافظ واسع الرواية، رحل إليه عياض بقرطبة فسمع منه الكثير، وجعل له حظاً من نفسه ودولاً كثيرة، فاتسعت مروياته عنه توفي في جمادي الآخرة سنة ثمانية وخمسمائة³.

ز. القاضي أبي عبد الله محمد بن علي بن حمدين: من أهل قرطبة، ولد سنة تسع وثلثين وأربعمائة ومن أجلّ رجال الأندلس، وله باع في الفقه والأدب تقلد الشورى بقرطبة لأول الدولة المرابطية ثم ولى قضاء الجماعة بها، لقيه القاضي عياض سنة سبع وخمسمائة وصدر سنة ثمان وخمسمائة وجالسه كثيراً، وسمع عليه الموطأ وبعض رسائله وردوده، وأجازه في سائر رواياته⁴.

المطالب الثالث: تلاميذه

بعد مسيرة حافلة في طلب العلم، والأخذ والسماع عن الشيوخ، تكونت شخصية القاضي عياض العلمية وأصبح له مكانة عظيمة في الأوساط العلمية، وترسخت علوم الشريعة في عقله وقلبه، فصار لزاماً أن يورث ما أخذه عن شيوخه إلى الأجيال القادمة وغدا القاضي عياض بهذا مقصداً لطلاب العلم من الأندلس والمغرب، فكثرت تلاميذه، بحيث لا تكاد تجد أحداً من أهل الطبقة التي تلت طبقة القاضي عياض في تلك الديار إلا وقد

¹ - القاضي عياض، المصدر السابق، ص 147؛ المقرئ، أزهار الرياض المصدر السابق، ج3، ص 158.

² - القاضي عياض، المصدر السابق، ص 109؛ ابن بشكوال، المصدر السابق، ج1، ص 80.

³ - القاضي عياض، الغنية، المصدر نفسه، ص 201.

⁴ - المصدر نفسه، ص 99؛ ابن بشكوال، المصدر السابق، ص 130.

تتلمذ عليه وأخذ العلم عنه¹، يقول الذهبي: "روى عنه خلق كثير"²، ونظرًا لكثرة عدد تلاميذ القاضي عياض، وصعوبة حصرهم، نذكر أبرزهم وهم:

1- محمد بن حسين عطية: ويكنى أبا عبد الله، يعرف بابن غازي عالم متقن، وفقهه متقن وشاعر وأديب من أهل سبته، روى عن القاضي عياض واختص به ولازمه وسمع منه جل روايته، توفي في بضع وستين وخمسائة³.

2- عبد الرحمان بن أحمد الأزدي: من أهل غرناطة كان فقيها، رفيع القدر، بارع في الأدب وأخذ عن القاضي عياض، وله تأليف وخطب ورسائل ومقامات، توفي سنة ست وسبعين وخمسائة⁴.

3- خلف بن عبد الملك بن بشكوال الأنصاري: يكنى أبا القاسم، الحافظ، المسند والمؤرخ من أهل قرطبة، ولد سنة أربع وتسعين وأربعمائة، سمع العالي والنازل وأسند عن شيوخه أزيد من أربع مائة كتاب بين صغير وكبير، وله خمسين مؤلفاً في أنواع العلم وولي باشبيلية قضاء وقد كان ممن أخذ عن القاضي عياض، يقول عن نفسه في كتاب الصلة "وقدم علينا القاضي عياض قرطبة في ربيع الآخر سنة إحدى وثلاثين وخمسائة، فأخذنا عنه بعض ما عنده"⁵ وتوفي في الثامن من شهر رمضان سنة ثمان وسبعين وخمسائة، عن أربع وثمانين سنة، ودفن بمقبرة الإمام يحيى بن يحيى الليثي⁶.

4- إبراهيم بن يوسف المرّي: يكنى أبا إسحاق ويعرف بابن قرقول من أهل المرية، ولد سنة (505هـ/1011م)، فقيه محدث وله رواية عن القاضي عياض وغيره، ألف مطالع الأنوار

¹ - حسين الشواط، المرجع السابق، ص 239.

² - الذهبي، تذكرة الحفاظ، المصدر السابق، ج4، ص 1306.

³ - قاسم مخلوف، شجرة النور الزكية، المصدر السابق، ص 235.

⁴ - ابن فرحون، المصدر السابق، ج1، ص 486؛ قاسم مخلوف، المصدر السابق، ص 153.

⁵ - ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، ص 661.

⁶ - الذهبي، تذكرة الحفاظ، المصدر السابق، ج4، ص 1339.

على منوال مشارق الأنوار للقاضي عياض، توفي يوم الجمعة السادس لشعبان سنة (569هـ/1173م)¹.

5- أحمد بن عبد الرحمان الصقر، الأنصاري الجرزي: ولد بالمرية سنة (442هـ/1050م)، فقيه أصولي حافظ، أخذ عن القاضي عياض ولازمه وله تصانيف مفيدة، منها شرح الشهاب توفي بمراكش سنة (569هـ/1173م)².

6- أحمد بن عبد الرحمان بن مضاء اللخمي: أصله من جيان، ولد بقرطبة سنة (511هـ/1117م)، قرأ القرآن وأخذ العلم وأكثر من الشيوخ في القراءات، والحديث، فقد أخذ عن القاضي عياض حين لقيه بسبته علم الرواية والأحكام توفي سنة (593هـ/1117م)³.

7- محمد بن عياض ولد الإمام أبي الفضل: يكنى أبا عبد الله، من أهل سبته كان فقيها محدثا مشهور العفاف والطهارة، روى عن أبيه القاضي عياض وابن العربي وأجاز له وغيرها، وأخذ عنهم مصنف النسائي، حيث ولي القضاء في دانية⁴ وولي أيضا القضاء بغرناطة، توفي سنة (575هـ/1179م)⁵.

8- محمد بن سعيد الأنصاري الاشبيلي: المعروف بابن زرقون وهو أشهر الفقهاء في عصره كان أدبيا وشاعرا ومشارك في سائر العلوم، وقد لازم عياضا كثيرا واختص به، له مصنفات بديعة منها كتاب الأنوار، توفي سنة (586هـ/1190م)⁶.

¹ - القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس، المصدر السابق، ص 88؛ شجرة النور الزكية لمخلوف، المصدر السابق ص 211.

² - ابن فرحون، المصدر السابق، ج 1، ص 211؛ قاسم مخلوف، المدر السابق، ج 1، ص 218.

³ - ابن فرحون، المصدر السابق، ج 1، ص 46-47.

⁴ - دانية: مدينة بالأندلس تقع في ضفة البحر شرقا، مرساها يسمى الشقان، ولها رساتيق واسعة كثيرة التين والعنب وكانت قاعدة ملك أبي الجيش مجاهد العامري، وأهلها اقرأ أهل الأندلس. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق ج 2، ص 434.

⁵ - محمد بن عياض، المصدر السابق، ص 3.

⁶ - حسين الشواط، المرجع السابق، ص 243.

المطلب الرابع: مؤلفاته:

لقد أسهمت شخصية القاضي عياض العلمية بشكل كبير في إثراء المكتبة الإسلامية، من خلال ما ألفه من مؤلفات عديدة في فنون مختلفة من علوم الشريعة، حيث أصبحت هذه المؤلفات مرجعا ومصدراً مهماً يرجع إليها طلاب العلم، يتوارثونها وينقلونها، لمن بعدهم ويعنونها بالشرح والتعليق والحفظ وقد أثنى عليها علماء المسلمين وتلقوها بالقبول يقول ابن الأبار: "له تواليف مفيدة، كتبها للناس وانتفعوا بها، وكثر استعمال كل طائفة لها"¹، ويرجع هذا النجاح في انتشار كتب القاضي عياض إلى تنشئته العلمية وإبداع مؤلفاته وإتقانها يقول الذهبي: "وكل تواليفه بديعة"² ويقول أيضاً: "وجمع وألف، وسارت بتصانيفه الركبان واشتهر اسمه في الآفاق"³، ويقول ابن فرحون: "له التصانيف المفيدة البديعة"⁴.

ويقول ابن خلكان: "وصنف التصانيف المفيدة وقد قاربت مصنفات القاضي عياض الثلاثين، وقد ذكرت في كتب التراجم، ونقلها وذكرها ابنه محمد في كتاب التعريف بالقاضي عياض"⁵، وكذلك شهاب الدين المقري خصها بفصل سماه "روضة النسرین في تألیفة العديمة النظیر والقیرین"⁶.

ونذكرها مختصرة التعريف، مع تقسيمها حسب الفنون:

1- علم الحديث:

وعلم الحديث هو من اختصاص القاضي عياض ولذلك فقد أكثر من التأليف فيه من

بينهم:

¹ ابن الأبار، المعجم في أصحاب القاضي الإمام الصديقي، مصدر السابق، ص 296.

² الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج 20، ص 215.

³ المصدر نفسه، ص 214.

⁴ ابن فرحون، المصدر السابق، ج 2، ص 48.

⁵ محمد بن عياض، المصدر السابق، ص 116.

⁶ المقري، أزهار الرياض في أخبار عياض، ج 4، ص 271.

- أ- كتاب إكمال المعلم بفوائد صحيح مسلم: وهو شرح لكتاب "الجامع الصحيح" للإمام المسلم¹، وهو أيضا موسع ومكمل لكتاب "المعلم بفوائد مسلم" للمازري² وكتاب المازري الآخر "تقييد المهمل، جزء العلل الواقعة في أسانيد كتاب مسلم"
- ب- بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد: وهو شرح وحديث أم الزرع الطويل³.
- ج- الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع: والكتاب معروف بعنوانه فهو يختص بسماع الحديث ورواياته، وقد ضمنه قواعد دقيقة لم يسبق إليها في تسعة عشر باباً⁴.
- د- مقدمة إكمال المعلم: هو شرح لمقدمة صحيح مسلم، وما فيها من مسائل علوم الحديث⁵.
- هـ- مشارق الأنوار على صحيح الآثار: وهو كتاب يختص، بشرح غريب الحديث وتقويم الألفاظ الغريبة والمشكلة، الواردة في الصحيحين والموطأ وكل ما يختص بها⁶، واستفادت منه جملة من أهل العلم ومنهم ابن حجر العسقلاني في فتح الباري فيما يتعلق بشرح الغريب وضبط الأسماء والكنى والأنساب⁷.

¹ - الإمام المسلم: هو أبو الحسن بن الحجاج بن مسلم ينتمي إلى قبيلة نيسابوري، ولد سنة 204هـ، وكانت ولادته في خلافة المأمون وله كتاب سمي باسمه صحيح المسلم توفي 261هـ للمزيد ينظر: محمود فاخوري: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري حياته وصحيحه، د ط، حلب، سوريا، 1398هـ/1978م، ص 35-54.

² - الإمام المازري: هو عبد الله بن محمد التميمي المشهور بالمازري، نسبة إلى مازرة بصقلية، ولد بإفريقية في حدود سنة 443هـ، كان مالكي وكان خاتمة المحققين وآخر المشتغلين من شيوخ إفريقية بتحقيق العلوم الدينية، توفي في 536هـ. للمزيد ينظر: حسن حسني عبد الوهاب: الإمام المازري، د ط، دار الكتب الشرقية، تونس، د س، ص 49، 50، 56.

³ - القاضي عياض، بغية الرائد، المصدر السابق، ص 5.

⁴ - القاضي عياض: الإلماع إلى معرفة الرواية وتقييد السماع، تح: السيد أحمد صقر، ط1، دار التراث، القاهرة، 1389هـ/1970م، ص 21.

⁵ - القاضي عياض: إكمال المعلم بفوائد مسلم، تح: الحسن بن محمد شواط، ط1، دار عفان، 1414هـ/1994م، ص: 5.

⁶ - القاضي عياض: مشارق الأنوار على صحاح الآثار، د ط، المكتبة العتيقة، تونس، د س، ج1، ص 4-5.

⁷ - المصدر نفسه، ص 6.

و- **غريب الشهاب**: وهو شرح لغريب ألفاظ أحاديث كتاب (شهاب الأخبار في الحكم والأمثال والأدب لأبي عبد الله محمد بن سلامة القضاعي)¹، وهو مفقود.

(2) علم السيرة النبوية:

أ) **الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ﷺ**: وهو من أشهر كتب القاضي عياض، تناول فيه سيرة النبي ﷺ، وقد احتوى مسائل عديدة في الفقه والأصول والبلاغة²، يقول ابن فرحون: "أبدع فيه كل الإبداع، وسلم له أكفاه فيه ولم ينازعه أحد في الانفراد به، وما أنكروا مربيه في السبق إليه، بل تشوقوا للوقوف عليه، وجدوا في الاستفادة منه وحمله الناس، وطارت نسخته شرقاً وغرباً"³.

(3) علم التراجم والرجال:

أ) **أخبار القرطبيين**: ذكر فيه علماء قرطبة وأخبارهم وهو مفقود⁴.

ب) **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**: وهو كتاب يحتوي على تراجم علماء المالكية، صدره بترجمة موسعة، للإمام مالك مع التعريف بمذهبه، ثم ذكر تلاميذ الإمام مالك، ثم من بعدهم إلى طبقة شيوخه، وقد ضم هذا الكتاب ألف وخمسمائة ترجمة⁵.

¹ - سلامة القضاعي: هو محمد بن سلامة بن علي القضاعي، مصري شافعي المذهب والاعتقاد ومؤلف كتاب الشهاب، كان ينوب القضاء في مصر، توفي في ذي الحجة سنة 454هـ. للمزيد ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج18، ص 92.

² - القاضي عياض: الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، تح: عبده العلي كوشك، ط1، جائزة دبي للقرآن الكريم 1434هـ/2013م، ص 7-8.

³ - ابن فرحون، المصدر السابق، ج2، ص 49.

⁴ - مصطفى عبد الله الشهير بحاجي خليفة: الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ط1، دار الفكر، دمشق، سوريا 1403هـ/1982م، ج2، ص 1067؛ وإسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين بأسماء المؤلفين وأثار المصنفين، د ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1370هـ/1951م، مج1، ص 804.

⁵ - القاضي عياض، ترتيب المدارك، المصدر السابق، ص 35.

(ج) الغنية: وهي فهرسة لشيوخ القاضي عياض ولم تحوي جميع شيوخه، بل مائة شيخ ممن انتقاهم، حيث قال القاضي عياض في آخر الكتاب "وقد تركنا جماعة ممن لقيانهم وذاكرناهم وحضرنا مجالس نظرهم من الفقهاء والرواة"¹.

(4) علم الفقه: وقد ألف في هذا المجال سبعة كتب

(أ) أجوبة القرطبيين: وهي أسئلة لأهل قرطبة وأجوبة عليها².

(ب) التنبيهات المستنبطة على الكتب المدونة والمختلطة: وهو شرح المدونة الفقهية³.

(5) علم السياسة الشرعية والقضاء:

(أ) أجوبته فيما نزل في أيام قضاائه من نوازل الأحكام: وهو مفقود، ولكن يوجد اتمام لهذا

الكتاب لابنه محمد وهو مطبوع بعنوان (مذاهب الحكام في نوازل الأحكام)

(ب) سر السراة في آداب القضاة: وهو مفقود يحتوي آداب الفقهاء وشروطه ومسلكه.

(ج) مطامع الأفهام في شرح الأحكام: وهو مفقود⁴.

(6) علم العقيدة:

(أ) السيف المسلول على من سب أصحاب الرسول ﷺ: وهو مفقود⁵.

(ب) كتاب العقيدة: يحتوي مباحث عقديّة ومتعلقاتها الأصولية⁶.

(7) علم اللغة والأدب:

(أ) سوالات وتراسيل: وهو مفقود⁷.

¹ - القاضي عياض، الغنية، المصدر السابق، ص 227.

² - المقري، أزهار الرياض في أخبار عياض، المصدر السابق، ج5، ص 6.

³ - القاضي عياض: التنبيهات المستنبطة على الكتب المدونة والمختلطة، تح: محمد الواثق وعبد المنعم حميني، ط1، دار

ابن حزم، بيروت، لبنان، 1432هـ/2011م، ص ص 6-7.

⁴ - إسماعيل باشا، هدية العارفين، المصدر السابق، ج1، ص 805.

⁵ - المصدر نفسه، ص 805.

⁶ - الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج20، ص 214.

⁷ - المقري، أزهار الرياض في أخبار عياض، المصدر السابق، ص 5.

- ب) غنية الكاتب وبغية الطالب في الصدر والترسيل: وهو مفقود¹.
- ج) كتاب الخطبة: يحتوي خمسين خطبة مختارة من خطبه البليغية².
- 8) علم التاريخ: وله كتب ثلاثة وكلها مفقودة منها: (تاريخ المرابطين والجامع في التاريخ والفنون الستة في أخبار سبته)³.

¹ - محمد بن عياض، المصدر السابق، ص 117.

² - المصدر نفسه، ص 5.

³ - ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المصدر السابق، ج1، ص83.

الفصل الثاني

حياته السياسية

المبحث الاول: مناصبه.

المبحث الثاني: مواقفه السياسية.

المبحث الثالث: تحليل المواقف السياسية للقاضي عياض.

بعد التعرف على السيرة الذاتية والعلمية في الفصل السابق، نتطرق الى جانب مهم لهذا البحث ألا وهو الجانب السياسي، الذي يتضمن أشياء تخص الحياة السياسية للقاضي عياض، من وظائف وعلاقات مع الدول التي عاصرها، وما حوت من مواقف نحاول تحليلها لمعرفة اسبابها .

المبحث الأول: مناصبه السياسية:

بحكم المكانة العلمية للقاضي عياض في العلوم الشرعية وتبحره فيها، فقد حضي بمكانة عالية في مجتمعه، وهذا المكسب الذي جعله يتبوأ المناصب العالية والوظائف الرفيعة، كمنصب القضاء، حيث ولي القاضي عياض القضاء بداية من سبتة، ثم غرناطة ثم ليرجع الى سبتة مرة أخرى، وقد كان آخر عهده بالقضاء في قرية صغيرة ببادية تادلا أسمها داي¹.

المطلب الأول: ولايته القضاء بسبتة

وذلك في أواخر من عام (515هـ/1121م) في صفر، ولم يتجاوز عمره 39 عاما وظل على كرسي القضاء ستة عشر عاما²، حيث كان طوال مدة توليه هذا المنصب حسن السيرة محمود الطريقة، مشكور الحال، وقد أدي الحقوق وأقام الحدود الشرعية المتعارف عليها في المجتمع المرابطي المحافظ³، ونظرا لطول مدة بقائه في منصب القضاء، فقد كانت له منجزات منها توسعة مسجد مدينة سبتة، حيث بنى الزيادة الغربية من الجامع التي كمل بها جمال هذا المسجد، وغيرها من المنجزات⁴، وقد كانت هذه الفترة القضائية التي قضاه في سبتة ذات سيرة عطرة، بلغت شهرته الآفاق، وتحدثت الركبان بعدله وحزمه ونزاهته وقوته في الحق ولطفه مع أهل الاستقامة والاستجابة لحدود الله، وقد أحبه العامة والخاصة وهابه السلطان، ولم يكن لأحد أن يتجرأ على مخالفة الشرع وتجاوز حدوده في

¹ - داي: هي مدينة صغيرة تقع في أسفل جبل خارج من جبل درن وهي كثيرة العماير والقوافل، بها معدن النحاس الخالص. للمزيد ينظر: للإديسي، المصدر السابق، ص 241.

² - محمد علي الصلابي: تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 1430هـ/2009م، ص 224.

³ - حسن الوراكلي: أبو الفضل القاضي عياض السبتي (ثبت بليبوغرافي)، د ط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1994م، ص 13.

⁴ - البشير الترابي، المرجع السابق، ص 81.

وجوده، وقد شاع في عهده العدل واستتب الأمن ونشطت الحياة العلمية وكثرت الإنجازات الإجتماعية من الأوقاف والربط، وكان مما ساعده في هذه الإنجازات طول مدة بقاء في هذا المنصب كما ذكرنا¹ وقد شجعت هذه السيرة حكام آل تاشفين على تعيينه قاضياً بغرناطة².

المطلب الثاني: ولايته القضاء في غرناطة:

نظراً لقوة القاضي عياض في تسيير القضاء في سبته وسيرته المحمودة وإنجازاته ، فقد حث هذا الأمر حكام المرابطين على تعيينه قاضي على غرناطة³، حيث انتقل إلى بلاد الأندلس لتولي فيها القضاء في صفر سنة (431هـ/1040م)⁴، واستقبله أهل غرناطة استقبالا حافلا، كما يستقبل الفاتحون⁵، حيث يصف تلميذه عبد الرحمان بن القصير هذا الاستقبال بقوله: "لما قدم علينا القاضي عياض غرناطة خرج الناس للقائه، ما رأيت لأمير مؤمر مثله، وحرزت أعيان البلد الذين خرجوا إليه ركبانا ..."⁶، فلما استقر عندهم ازداد إكبارهم له وتقديرهم لشأنه، وقد سار فيهم سيرته المعهودة في إقامة الحق والعدل، حيث أقام حد الخمر على الفتح بن خاقان⁷، وفي هذا السياق يقول ابنه محمد "ومن نوادر أخباره التي اضطره الشرع إليها إقامته حد الخمر على الفتح بن خاقان، وذلك أنه قصد إلى مجلس قضائه مخمراً، فتنسم بعض شهود المجلس منه رائحة الخمر، فأعلم القاضي بذلك، فأمر به، فاستثبت في استتكاها وحده حداً تاماً ..."⁸، وكذلك صدّ أصحاب الأمير تاشفين لما رأى منهم انحرافاً واضحاً وحجزهم عن الظلم، وشردهم عن كامل الأعمال، فنقموا عليه وكادوا له

¹ - محمد شواط، المرجع السابق، ص ص 162، 163.

² - المرجع نفسه، ص 163.

³ - نفسه، ص 163.

⁴ - المقرئ، أزهار الرياض، المصدر السابق، ص 136.

⁵ - الصلابي، المرجع السابق، ص 225.

⁶ - البشير الترابي، المرجع السابق، ص 82.

⁷ - الفتح بن خاقان: هو الفتح بن علي بن أحمد بن عبيدة الله الكاتب المشهور بابن خاقان، يكنى أبا نصر من قلعة يحصب وكان عذب الألفاظ، وأصل المعاني له كتاب قلائد العصيان. للمزيد ينظر: لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق، ص 248.

⁸ - حسين شواط، المرجع السابق، ص 164.

لدى السلطان¹، حتى أن الأمير تاشفين ضاق به ذرعا لقيام القاضي بمراقبته، وصد أصحابه عن الباطل، وتشريدهم من الأعمال، فسعى في صرفه عن قضاء غرناطة، حتى صرف عنها إلى سبتة كما ذكر ابنه، وقيل أنه ذهب إليها زائراً أهله، وترك ابن أخيه نائباً عنه في القضاء، فلم لم يعزم عليه أثر البقاء في سبتة، والراجح القول الأول، وكان ذلك في رمضان سنة (532هـ/1138م)²، أي أنه لم يقيم في غرناطة إلا سنة وسبعة أشهر، وفي هذه الفترة واصل القاضي عياض تدريسه ونشره العلم وازداد تفرغه للتأليف، حتى أكمل معظم كتبه في هذه الفترة، وبعد حوالي سبعة سنوات ولي قضاء سبتة ثانية³.

المطلب الثالث: ولايته القضاء بسبتة ثانية:

بعد تولي القاضي عياض القضاء في غرناطة، وبعد السيرة الحميدة والسمعة الطيبة التي عرفت عنه أثناء توليه القضاء بها، دار الزمان دورته وشاء الله أن يعود القاضي عياض إلى سبتة مرة أخرى، وكان هذا بعد تقديم إبراهيم بن تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين هذا المنصب لتوليه، وكان ذلك في أواخر عام تسعة وثلاثين وخمسمائة، وقد فرح أهل سبتة بعودته، وسُرُّوا بتوليه منصب القضاء لما علموه من سيرته وعدله وإصلاحه الذي ملأ الأرجاء، وهم في نفس الوقت يذكرون سابق عهده الزاهر في قضاء سبتة والذي كان حافلاً بالمآثر⁴.

وكما هو منتظر من القاضي عياض، فقد تولى القضاء وسار فيه السير المعهود والمحمود الذي عرف به في غرناطة وقبلها سبتة⁵، وكان عند حسن ظن أهل سبتة وما عهدوه منه⁶ وفي هذه البلدة أيضاً لم يقتصر على القضاء، فكان يدرس ويستشار، ويقصده طلاب العلم وأقام بها حتى قدم الموحدون وغزوا سبتة، وقد كانت له معهم مواقف عنيفة سننتعرض إليها

¹ - حسين الشواط، المرجع السابق، ص 165.

² - أبو العباس السملالي، المصدر السابق، ص 351.

³ - حسين شواط، المرجع السابق، ص 165.

⁴ - البشير الترابي، المرجع السابق، ص 84.

⁵ - محمد بن عياض، المصدر السابق، ص 11.

⁶ - أبو العباس السملالي، المصدر السابق، ص 351.

وقد انتهت هذه الأحداث بتغريبه عن وطنه سبتة، وألزم القضاء بقرية صغيرة ببادية تادالا قرب مراكش¹.

المطلب الرابع: ولايته القضاء بداي

بعد تاريخ حافل في قضاء وإنجازات مشرفة للقاضي عياض في كل من سبتة وغرناطة، قام الموحدون بنفيه وتغريبه عن وطنه سبتة، وذلك بسبب موقفه المعارض لهم إلى داي ببادية تادالا، فتولى بها القضاء وذلك عام (1147م/542هـ)، ومن المعلوم أن منزلة القاضي عياض ومكانته العلمية وطيب سمعته كانت لا تتناسب إطلاقاً مع هذا التعيين، ولكن هو ظلم الساسة الموحدين²، الذين كانوا يتخوفوا منه، ويعيشون في هوس من قوة تأثيره وسطوته على قلوب أنصاره، فسخطوه، يقول ابن خلدون "... ولذلك سخطته الدولة -يعني دولة الموحدين- آخر الأيام حتى مات مغرباً عن وطنه مستعملاً في خطة القضاء بالبادية من تادالا رحمه الله"³، وقد استغرب عبد الحي الكتاني صاحب كتاب فهرس الفهارس هذا القول لابن خلدون على ضوء كلام ابنه الذي لم يذكر أنه تولى القضاء، حيث قال "إلى أن اجتمع بسيدنا أمير المؤمنين دام نصره، وكان منه -رحمة الله عليه- من الكلام المنظوم والمنثور ما استعطفه به، حتى رق له، وعفا عنه، على أبر وجه وأجمله، وأمره بلزوم مجلسه وأظهر تقريبه ومحبته، وكان يسأله فيستحسن جوابه، فأقام على تلك الحال، ومنزلته تزداد عنده كل يوم سمو ورفعة إلى أن خرج -أدام الله تأييده- إلى غزوة دكالة وخرج صحبته فمرض بعد مسير مرحلة فأذن له في الرجوع، فرجع إلى حضرة، فأقام بها مريضاً نحو من ثمانية أيام ثم مات ..."⁴.

وبهذا يمكن القول بأن القاضي عياض كان في داي منفياً أكثر منه قاضياً، وإلا فمكانة القاضي عياض في ذلك الوقت كانت تؤهله لأن يكون قاضياً بمدينة كبيرة، لا لقرية صغيرة

¹ - أبو العباس السملالي، المصدر السابق، ص 351.

² - ابن إبراهيم أم الحيلالي: الفقهاء والسلطة في المغرب الإسلامي (قاضي عياض نموذجاً) "5- 11م، 6- 12م مذكرة تخرج ماستر، قدمت تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، إشراف قراوي نادية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، شعبة التاريخ، جامعة مولاي الطاهر - سعيدي، 1437/1438هـ - 2016/2017م، ص 53.

³ - الكتاني، المصدر السابق، ص 799.

⁴ - محمد بن عياض، المصدر السابق، ص 13.

مهجورة مجهولة تفقد أبسط مقومات الحياة¹، ومما يدل على تغريب القاضي عياض ونفيه ما يلتبس في أبيات شعرية له من ألم وشكوى وشوق إلى وطنه إذ يقول:

أخا شجن بالنوح أو بغناء	أُفمرية الأدواح بالله طارحي
تهيج من شوقي ومن برحائي	فقد أرقنتي من هديك رنة
غريبُ بداي قد بليتُ بدائي	لعلك مثلي يا حمام فإني
وخرق بعيد الخافقين خواء ²	فكم من فلاة بين داي وسبنة

ومكث القاضي عياض بداي، وكانت آخر عهده بالقضاء، بل كانت آخر عهده بالحياة إذا لم يلبث بعد قضائها كثيرًا وقد ولي سنة أحد وأربعين وخمسمائة³ وكانت المدة ثلاث سنوات⁴ واعتل وتوفي سنة أربع وأربعين وخمسمائة⁵.

¹ - البشير الترابي، المرجع السابق، ص 85.

² - المرجع نفسه، ص 165.

³ - المقري، المصدر السابق، ج3، ص 333.

⁴ - البشير الترابي، المرجع السابق، ص 85.

⁵ - محمد بن عياض، المصدر السابق، ص 13.

المبحث الثاني: مواقفه السياسية:

المطلب الأول: موقف القاضي عياض من دولة المرابطين:

لقد عاصر القاضي عياض دولة المرابطين، التي قامت على أنقاض دولة بني عبيد الذين بالغوا في تشيعهم، ولقي منهم المالكية في المغرب كل العناء، ولما جاء المرابطون كانوا على طريقة أهل السنة وتمسكوا بمذهب الإمام مالك ولذلك وجدوا التأييد من العلماء وقد كان القاضي عياض من مؤيدي هذه الدولة وهذا ما نلمسه من خلال ترجمته لمؤسسها عبد الله بن ياسين في كتابه ترتيب المدارك، حيث أثنى عليه وكان يرى له الفضل في قيام هذه الدولة الشرعية في نظره¹ التي وحدت المغرب و الأندلس وأقامت الشريعة الإسلامية ورفعت لواء الجهاد، وجلبت على العباد والبلاد الرخاء والرفاهية، وأمنت طرق التجارة فأمن الناس على أموالهم ودمائهم².

وكان موقف القاضي عياض من حكام هذه الدولة هو الاحترام والإجلال، فهو إذا ذكر علي بن يوسف بن تاشفين وصفه بأمر المؤمنين، وكان معروفاً عن دولة المرابطين إجلالها وتقريبها للعلماء ونزولها عند رأيهم وحكمهم كما نقل ذلك عن سير وترجم حكامها³، فكان هذا الموقف والشعور متبادلاً بين القاضي عياض وحكام المرابطين، بل ساهم علي بن يوسف بن تاشفين في التنشئة العلمية للقاضي عياض وهذا يدل على رعايتهم وإجلالهم واحترامهم له، كما جاء في الرسالة التي بعثها إلى ابن حمدين قاضي الجماعة بقرطبة لما أراد القاضي عياض الرحلة إلى الأندلس للقاء الشيوخ، وقد جاء في خطابه " ... فلان ... يعني القاضي عياض - أعزه الله بتقواه وأعانه على ما نواه ممن له العلم حظ أوفر ووجه سافر ... وله إلينا صلة مرعية وأوجبت الإشادة بذكره والاعتناء بأمره، وله عندنا مكانة حفية تقتضي مخاطبتك بخيره، وإنهاضك إلى قضاة وطره، وأنت إن شاء الله تسدّد عمله وتقرب أصله، وتصل أسباب العون له إن شاء الله ... " ⁴، وهناك رسالة من طرف وزير الدولة أيضاً يوصي فيها بعياض ويشيد بفضله، ومما جاء فيها أن عياضاً " ... رأى أن يقتحم نحوك ظهري لجة ومحجة، ويرحل إلى حضرتك المألوفة مهاجراً ويعتمدها في طلب العلم

¹ - القاضي عياض، ترتيب المدارك، ص ص 81، 82.

² - إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص 16.

³ - مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص 82.

⁴ - الفتح بن خاقان، المصدر السابق، ص ص 226، 227.

تاجرًا، وله في الفضل مذاهب يبهرج عندها الذهب، وعنده من النبل ضرائب لا يفارق زندها الذهب، وستقره فتستغره، وتخبره فتكبره إن شاء الله¹.

وهذه الرسائل تدل على متانة العلاقة بين القاضي عياض وحكام المرابطين ووزرائهم وتدل على الموقف الإيجابي بينهم، ولما عاد القاضي عياض من رحلته للأندلس²، نصبه المرابطون قاضيًا لسبته ثم غرناطة ثم سبته مرة ثانية، فقام القاضي عياض بواجبه من الإصلاح السياسي الذي يمليه عليه دينه بحكم علمه ووجاهته ومنصبه، ولكن رغم تأييد القاضي عياض لدولة المرابطين واحترامه لهم؛ فإن هذا التأييد لم يكن على إطلاقه، بحيث تدخله المصانعة والمداهنة، وإنما كان مرتبطًا بمدى التزام حكامها لجانب الحق والعدل وتنفيذهم وإنصياهم لأحكام الشرع، ولذلك نجد عياضًا يأمر هؤلاء الساسة وبنهاهم، ويتوقف بلا تردد عن تنفيذ ما فيه مخالفة للشرع مع بيان الحق فيه³، وما يدل لي ذلك ما فعه القاضي عياض أيام قضائه بغرناطة من التضييق على أصحاب تاشفين، حكام غرناطة من قبل الدولة وصددهم عن الظلم الذي كان يعاني منه أهل غرناطة ولذلك ضاق تاشفين ذرعًا بالقاضي عياض، وملاً الغيظ أصحابه، فحاول جاهدًا أن يصرفه عن القضاء وقد فعل، فنقل القاضي إلى سبته بسبب مواقفه السياسية الصارمة اتجاه ظلم حكام غرناطة⁴، ومما يلاحظ في المواقف السياسية للقاضي عياض يجدها نابعة من الدين باعتباره شخصية دينية، فيحاول فيها مطابقة الشرع في آرائه وأحكامه ومواقفه، ولقد أثر هذا العزل من طرف حكام المرابطين للقاضي عياض عن قضاء غرناطة في مواقفه من دولة الموحيدين بأن بادر ببيعهم، حسب ما يرى بعض الملاحظون، كما جاء بقلم الدكتور عبد الهادي التازي في مجلة المناهل المغربية فيقول: «ولقد وجد الملاحظون ما يبرز هذه المبادرة من قاضي سبته فإنه وقد عاش من وشاية رخيصة اتسع لها صدر علي بن يوسف بن تاشفين، لم يعد شعوره

¹ - الفتح بن خاقان، المصدر السابق، ص 228.

² - ابن بشكوال، المصدر السابق، 660.

³ - الحسين شواط، المرجع السابق، ص 173.

⁴ - محمد بن عياض، المصدر السابق، ص 11؛ المقري، المصدر السابق، ج3، ص 10.

إزاء النظام السابق على نحو ما كان عليه عندما كان قاضيا في غرناطة، بالرغم من محاولة تدارك الأمر من طرف الذين خلفوا الأمير المرابطين»¹.

المطلب الثاني: موقف القاضي عياض من الموحدين:

لقد كان موقف القاضي عياض من دولة الموحدين هو الموقف المعارض المعاند ثم المهادن، وذلك أنه حين ظهر الموحدون، واستفحل أمرهم، فصاروا يغزون بلاد المغرب واستطاعوا أن يستولوا على مراكش²، فجعلوها عاصمة لهم، ومنها انطلقت جيوشهم لفتح باقي المدن، وقد كانوا على عقيدة تخالف ما كان يدين به القاضي عياض خصوصا ودولة المرابطين عموماً، ومن جملة ما يعتقد الموحدون وقائدهم ابن تومرت، إدعاء العصمة للإمام يقول المراكشي صاحب المعجب في ترجمة محمد بن تومرت «وصرح بدعوى العصمة لنفسه، وأنه المهدي المعصوم، وروى في ذلك أحاديث كثيرة، حتى استقر عندهم أنه المهدي، ويسط يده فبايعوه على ذلك»³، ومخالفة المذهب المالكي في الفروع، الذي كان يدين به غالبية المغاربة، فهذه العقائد وغيرها استتكرها القاضي عياض، باعتباره على عقيدة أهل السنة والجماعة في الأصول⁴، وفي الفروع الفقهية على مذهب الإمام مالك⁵، هذا فيما يخص الموقف الديني، والذي بدوره أثر على الموقف السياسي اتجاه الموحدين، وقد تجلى ذلك حين قدم الموحدون بعد غزوات طويلة عام (534هـ/1139م) إلى سبتة محاولين فتحها، فقاومهم أهل سبتة بقيادة زعيمهم القاضي عياض⁶، فقد كان رئيساً لسبتة بأبوته ودينه وعلمه ومنصبه يقول ابن خلدون: «واستمر عبد المؤمن على حاله فنازل سبتة وامتنعت عليه، وتولى كبر دفاعه عنها القاضي عياض الشهير الذكر، كان رئيساً يومئذ بدينه وأبويه ومنصبه»⁷.

¹ - عبد الهادي التازي: "القاضي عياض بين العلم والسياسة"، مجلة المناهل، العدد 19، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، الرباط، المغرب، صفر 1401هـ ديسمبر 1980م، ص 473.

² - البيدق، المصدر السابق، ص ص 63، 64، 65.

³ - عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 141.

⁴ - حكيم باشا، المرجع السابق، ص 90.

⁵ - المرجع نفسه، ص 85.

⁶ - أحمد السيلوي، المصدر السابق، ص 102.

⁷ - ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 307.

واستطاع القاضي عياض مع أهل سبتة أن يدافعوا جيوش عبد المؤمن ويرغموها على الانسحاب.

ولما قتل تاشفين بن علي في معاركه مع الموحيدين وفتحت تلمسان¹، وفاس²، واستفحل أمر عبد المؤمن، بايع أهل سبتة كرهاً في جملة من بايع من المدن المغربية³، وقد كان تاشفين بن علي من آخر الحكام المرابطين، فاستتب الأمر للموحيدين⁴ وبادر القاضي إلى لقاء عبد المؤمن أمير دولة الموحيدين، فاجتمع به بمدينة سلا⁵، حين كان ذاهب لفتح مراكش فأجزل صلته، وولي على سبتة يوسف بن مخلوف التينملي⁶ وساكن الموحدون أهل سبتة في ديارهم واطمأنوا إليهم.

وإضافة إلى توليه محمد بن مخلوف الهنتاني يقول الدكتور عبد الهادي التازي في مقاله أنه تم عزل القاضي عياض بسبب أن سبتة امتنعت مجدداً بعد المهادنة التي تمت في مدينة سلا، فأوقعت هذه الأحداث القاضي عياض في حرج مع الخليفة عبد المؤمن، الذي هاله تنكره، فقام بعزله، بعد فشل هذا التمتع، والذي نتج عن تحرك جدي للأسطول الموحيدي نحو سبتة، فقام بحصارها حصاراً بحرياً أكثر منه برياً، وكان هذا شرطاً استراتيجياً لإسقاط

¹ - تلمسان: مدينة عظيمة قديمة فيها آثار كثيرة أزلية تنبئ أنها كانت دار مملكة لأمم سالفه، وهي في سفح جبل أكثر شجره للجوز، ولها نهر كبير يسمى سطسيف، تقع في المغرب الأوسط، وكانت تلمسان دار مملكة زناته وحواليها قبائل كثيرة من زناته وغيرهم من البربر، ولها قرى كثيرة وعمائر متصلة ومدن كثيرة ترجع. للمزيد ينظر: المؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، المصدر السابق، ص 176.

² - ابن أبي الزرع، المصدر السابق، ص ص 188، 189.

³ - أحمد الناصري، الاستقصاء، المرجع السابق، ص 102.

⁴ - البشير الترابي، المرجع السابق، ص 92.

⁵ - سلا: بلفظ الفعل الماضي من سلا يسئلو: مدينة بأقصى المغرب ليس بعدها معمور إلا مدينة صغيرة يقال لها غسرنيطوف ثم يأخذ البحر ذات الشمال وذات الجنوب وهو البحر المحيط، وسلا مدينة متوسطة في الصغر والكبير موضوعة على زاوية من الأرض قد حاذها البحر والنهر، فالبحر شماليها والنهر غربيها جار من الجنوب وفيه نهر كبير تجري فيه السفن، وفي غربي هذا النهر اختط عبد المؤمن مدينة وسماها المهديّة، كان ينزلها إذا أراد إبرام أمر وتجهيز جيش ومنها مراكش عشر مراحل، وهي من مراكش غربية جنوبية. ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص 231.

⁶ - يوسف بن مخلوف التينملي: وهو حاكم على سبتة في فترة الموحيدين، حيث عينه أي بعثه عبد المؤمن واليا على ثغر سبتة وتوابعها مثل ألميرية وغيرها. للمزيد ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 309.

المدينة، فقد حوصرت سبته سابقاً من البر فقط فامتعت، وهنا نرى سقوط المدينة بعد حصار طويل ورجوعها إلى كنف الطاعة¹.

وبعد هدوء ساد سبته، تملك الظن أنها لن تعود إلى الحركة مجدداً، لكن الذي حصل هو أن المدينة كانت تصيخ بأسماعها، لما يجري من انتقاص أهل المغرب على عبد المؤمن بسبب ثورة محمد بن هود²، وما نشأ عن ذلك من أحداث، ثم نكسة الجيش الموحي أمام مقاومة برغواطة³ فسارت سبته في هذا الركب، ونقضت البيعة، وثارت على الموحيين، وتم ذلك بإيعاز من القاضي عياض، يقول صاحب كتاب الروض المعطار «وفي خلال هذه الأيام قام أهل سبته على الموحيين بعد أن بايعوهم ومكنوهم من المدينة، وكان قيامهم عليهم برأي قاضيهم عياض ابن موسى، فقتلوا من بها من الموحيين وعمالهم وأحرقوهم بالنار»⁴، وأما ذكره للقتل والإحراق، فعن هذا يقول صاحب الاستقصاء «وأما القتل والتحريق الذي صدر من أهل سبته فالظن بالقاضي عياض رحمه الله أنه لا يوافق على ذلك ولا يرضاه، ولكن العامة تتسرع إلى مجاوزة الحدود، لاسيما أيام الفتن، وذلك معروف من حالهم والله الموفق»⁵.

ركب القاضي عياض البحر إلى يحيى بن علي المسوفي المعروف بابن غانية⁶، وكان معتصماً بقرطبة متمسكاً بدعوة المرابطين، فلقبه وأدى إليه البيعة، وطلب منه والياً على

¹ - عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص 475.

² - محمد بن هود: وهو محمد بن عبد الله بن هود تائر من سوقة سلا وكان أبوه دلال بالسوق، فادعى الهداية فسمى نفسه بالهادي خرج من ناحية السوس وظهر في رباط ماسة ونسب إليها، و أخذ بدعوته أهل سلجلماسة ودرعة وقبائل دكالة وركراكة وقبائل تامسنا وهوارة وكان له حروب مع الموحيين فهزموه. ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ص 30.

³ - برغواطة: وهو شعب معروف من شعوب المصامدة كان لهم في صدر الإسلام التقدم من بين المصامدة في بسائط تامسنا وريف البحر المحيط من سلا وأزمور وأنقى وأسقى وظهر فيهم مدعي النبوة المشهور صالح طريف وكون لهم ديانة واستمرت إلى غاية سقوطها على يد المرابطين. للمزيد: ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 276.

⁴ - ابن أبي الزرع، المصدر السابق، ص 191.

⁵ - أحمد الناصري، المرجع السابق، ص 103، 104.

⁶ - يحيى بن علي المسوفي: هو يحيى بن علي المسوفي المعروف بابن غانية كان والياً على قرطبة مقيماً لدعوة المرابطين فيها، فلما دخل الموحيين الأندلس اشتعلت نار الفتنة وعزل ابن غانية من منصبه وتوفي بغرناطة يوم الجمعة الرابع والعشرون من شعبان سنة ثلاث وأربعين وخمسائة. للمزيد ينظر: أحمد الناصري، المرجع السابق، ص 118.

سبته، فبعث معه يحيى بن أبي بكر الصحرابي¹، الذي كان معتصماً بفاس أيام حصار عبد المؤمن لها، ففر إلى ابن غانية²، وبقي معه إلى أن بعثه مع القاضي عياض في هذه المرة، فدخل يحيى سبته وقام بأمرها ولما انتقلت هذه الأخبار إلى عبد المؤمن مع ما تقدم من ثورة برغواطة؛ خرج من مراكش قاصداً بلاد برغواطة أولاً، ثم سبته ثانياً³، فتسامعت برغواطة بخروج عبد المؤمن إليهم، فكتبوا إلى يحيى بن أبي بكر بمكانه في سبته يستصرونه عليهم فأتاهم ويابعوه واجتمعوا عليه وقتلوا عبد المؤمن فهزموه، ثم كانت له الكرة عليهم فهزمهم وحكم السيف فيهم واستأصل شأفتهم حتى انقادوا للطاعة، وتبرأوا من يحيى الصحرابي، وفروا الآخر إلى منجاته، ثم طلب الأمان من عبد المؤمن وتشفع إليه بأشياخ القبائل فأمنه ووفد عليه فبايعه وحسنت طاعته لديه، وكان ذلك سنة اثنين وأربعين وخمسمائة⁴.

ولما رأى أهل سبته ما حل بخصوم الموحدين، واستسلام يحيى الصحرابي، صُعِقُوا بذلك إضافة إلى قدوم الأسطول الموحي وحصاره لهم من جميع الجهات.

ولم يكن أمام القاضي عياض وقد تعذر عليه الإبحار إلى الأندلس إلا أن يجدد بيعته مع أهل سبته إلى عبد المؤمن، حيث قدم بها الأشياخ تائبين طائعين⁵، نادمين على صنعهم، فعفا عنهم وعن القاضي عياض⁶، غير أنه اتخذ بعض الإجراءات الصارمة لمنع تكرار ثورتهم، من ذلك أمره بهدم سور سبته، ومنع عياض من العودة إليها، وفرض عليه ملازمته حتى لا يقوم أهل بلده ضد الموحدين مرة أخرى، ثم نفاه في قرية نائية ليتولى قضائها⁷، وانتهى الأمر بموته بمراكش وكان ذلك عام أربع وأربعين وخمسمائة⁸.

¹ يحيى بن أبي بكر الصحرابي: ولد في فاس وكان مقبلاً فيها وبعد حصار الموحدين لها بقيادة عياض وقام بأمرها. للمزيد ينظر: أحمد الناصري، المرجع نفسه، ص 113.

² ابن خلدون، المصدر السابق، ص 309.

³ أحمد الناصري، المرجع السابق، ص 102.

⁴ ابن خلدون، المصدر السابق، ص 311.

⁵ عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص 477.

⁶ أحمد الناصري، المرجع السابق، ص 103.

⁷ الحسين بن محمد شواط: منهجية فقه الحديث عند القاضي عياض في إكمال المعلم بفوائد مسلم، ط1، دار ابن عفان الخبر، المملكة العربية السعودية، 1414هـ/1993م، ص 134.

⁸ ابن قنفذ القسنطيني، المصدر السابق، ص 22.

المبحث الثالث: تحليل المواقف السياسية للقاضي عياض:

إن المواقف السياسية المتباينة للقاضي عياض مع حكام عصره تتطلب وقفة وتحليل ومحاولة معرفة الدوافع والأسباب والأهداف لهذه المواقف، وقد عاصر القاضي عياض دولتين مختلفتين عن بعضهما.

أما دولة المرابطين فتعتبر الأب المربي لهذه الشخصية¹، والمساهم الفعلي في تنشئته العلمية، من خلال ما شهدناه من إرسال علي بن يوسف بن تاشفين ووزيره لرسائل، تحث على الاهتمام بالقاضي عياض ورعايته²، وهذا ما جعل الموقف السياسي للقاضي واضحاً اتجاه حكام هذه الدولة لا يحتاج إلى تبين، وهو الموالاة والطاعة والحب، مع مالها من سابق فضل في توحيد المغرب والأندلس، ونصرة المذهب المالكي، غير أن هذا الموقف السياسي الموالي للدولة ليس مطلق، فقد كان حازماً في أمور الظلم والاستبداد، كما شهدناه أيام قضائه في غرناطة، من معارضة ومنعهم من الظلم والاستبداد، وكان هذا سبب عزله من القضاء، بوشاية إلى حاكم دولة المرابطين والتي أثرت في علاقته السياسية بهذه الدولة وبموافقة منها، والتي حسب بعض المحققين، كانت من الأسباب الدافعة إلى مبايعة الموحدين³.

أما الموحدين فقد تباين موقف القاضي عياض السياسي اتجاههم على ما سنفضله، فقد أوصلها صاحب الاستقصاء إلى ثلاثة مواقف فيقول: «فالحاصل أن ما فعله القاضي عياض أولاً وثانياً وثالثاً كله صواب لمواقف للحكم الشرعي»⁴، وأما الدكتور عبد الهادي التازي فأوصلها إلى خمسة مواقف كما جاء في مجلة المناهل فيقول: «خمس مواقف متباينة في ظرف وجيز من طرف عياض لا بد أن نبحث لها عن تفسير صحيح»⁵.

أما صاحب الاستقصاء فقد بيّن صواب هذه المواقف الثلاثة وفي ضمنها أسبابها ولنتركه يجيبنا فيها فيقول: «وأعلم أن ما صدر من القاضي عياض رحمه الله في جانب الموحدين دليل على أنه كان يرى أن لاحق لهم في الأمر والإمامة وإنما هم متغلبون وهذا

¹ - حسين شواط، القاضي عياض عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته، المرجع السابق، ص 37.

² - ابن خاقان، المصدر السابق، ص ص 226، 228.

³ - عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص 473.

⁴ - أحمد الناصري، المرجع السابق، ص 103.

⁵ - عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص 478.

أمر لا خفاء به كما هو واضح، ولما كانت شوكة عبد المؤمن لازالت ضعيفة وتاشفين بن علي أمير الوقت لازال قائم العين امتنع القاضي عياض رحمه الله من مبايعة عبد المؤمن ودافعه عن سبته إذ لا موجب لذلك، لأن بيعة تاشفين في أعناقهم وهو لازال حياً، فلا يعدل عن بيعته إلى غيره بلا موجب... ولما قتل تاشفين وفتحت تلمسان وفاس وقويت شوكة عبد المؤمن بايعة القاضي عياض حينئذ وقبل صلته، لأن من قويت شوكته وجبت طاعته.

ولما ضعف أمره ثانيا بسبب قيام الماسي عليه وإجماع قبائل المغرب على التمسك بدعوته رجع القاضي بأهل سبته عن بيعته إلى طاعة المرابطين الذين لهم الحق في الإمامة بطريق الأصالة ولم يأخذ بدعوة الماسي لأنه ثائر أيضاً، وهذا مع ما كان ينقل عن المهدي من أنه غلبت نزعة خارجية عليه، وأنه يقول بعصمة الإمام وذلك بدعة كما لا يخفى، فتكون إمامته وإمامة أتباعه مقدوحاً فيها من هذه الحيثية، لكن حيث حمل التغلب والاستيلاء وجبت الطاعة، فالحاصل إن ما فعله القاضي عياض أولاً و ثانياً وثالثاً كله صواب موافق للحكم الشرعي...»¹.

وأما عن المواقف الخمسة كما ذكرها عبد الهادي التازي فقد بين أسبابها في شرح يطول ومن أراد أن يستزيد فعليه أن يرجع إلى ما قاله في مجلة المناهل، وفي الجملة يرجع أسبابها إلى المصلحة والخوف على المكانة والمنصب، ويغلبها على جانب المبدأ وهو الشرع ويقول أن فرقا بين شخصية القاضي الدينية وشخصيته السياسية، وأن منطق السياسة الذي لا يرحم هو من فرض عليه تلك المواقف والله أعلم.²

¹ - أحمد الناصري، المرجع السابق، ص 104.

² - عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص 487.

الخاتمة

الخاتمة:

لقد تبين من خلال دراستنا لموضوع القاضي عياض الدينيا والسياسيا، مجموعة من الاستنتاجات نوجزها فيما يلي.

تعد شخصية القاضي عياض من الشخصيات البارزة والنادرة، والتي لعبت دورا مهما ومحوري في الحياة الدينية والحياة السياسية، حيث عاصر القاضي عياض دولتين كبيرتين؛ هما دولة المرابطين أولا، ثم دولة الموحدين ثانيا، وكان لكل منهما موقف من طرف القاضي عياض، وله معهما علاقة تأثر وتأثير، تملها عليه الظروف السياسية والاجتماعية.

نشأ القاضي عياض نشأة علمية في ظل الإستقرار السياسي الذي شهدته دولة المرابطين عامة، ومدينة سبتة خاصة، حيث ولد فيها وترعرع، وأخذ العلم عن علمائها، فقد كانت تعج بالعلماء وطلبة العلم من الذين توافدوا عليها من جميع الأقطار، بإعتبارها منطقة عبور من والى الأندلس، وقد رحل القاضي عياض في طلب العلم الى الأندلس، بعد أخذه عن علماء بلده، وكانت له محطات عدة في هذه البلاد؛ أولها قرطبة، ثم مرسية، ثم ألمرية ودانية وغيرها من المحطات، أخذ بها العلم عن الشيوخ إجازة وسماعا، ومنهم شيخه المشهور الحافظ أبي علي الصدفي، وللقاضي عياض شيوخ يزيدون عن المائة شيخ ذكرها في كتابه الغنية.

بعد تحصيل القاضي عياض العلم عن شيوخ الأندلس، رجع الى بلده سبتة، وصارت له مكانة مرموقة في المجتمع، وأصبح مقصدا لطلاب العلم القادمين من مختلف أقطار المغرب والأندلس، فكثر تلاميذه ومن أجازهم وأسمعهم، فنقل إليهم التراث الإسلامي لينقلوه بدورهم الى الأجيال اللاحقة، حيث أثرى القاضي عياض المكتبة الإسلامية، من خلال مؤلفاته العديدة والفريدة من نوعها في مختلف الفنون " الحديث، والتفسير، والفقہ وأصوله واللغة، والأدب، والتاريخ".

لقد كان الموقف السياسي للقاضي عياض إتجاه المرابطين إيجابيا وواضح، عنوانه السمع والطاعة والموالات، وكانت علاقته السياسية بحكام المرابطين مستقرة ومتينة، وهذا ما لامسناه من إعتناء أمراء المرابطين برجال الدين، ومنهم القاضي عياض، وذلك منذ الصغر، كما جاء في الرسالة التي بعثها علي بن يوسف بن تاشفين الى قاضي الجماعة بقرطبة ابن حمدين، يحثه فيها على الإهتمام بالقاضي عياض ومناولته مقصوده حين كان طالبا، ولكن هذه العلاقة الجيدة، لم تكن على إطلاقها، فقد كان للقاضي مواقف قوية إتجاه حكام المرابطين، كما شهدناه أيام قضائه بغرناطة من صد حكامها عن التعسف وردعهم عن الظلم، وقد تسبب ذلك في عزله عن منصب القضاء بالمدينة، ونقله الى سبتة.

أما بالنسبة الي لموقف القاضي عياض من دولة الموحدين، فقد تباينت مواقفه اتجاههم، وذلك حسب ما تمليه عليه الظروف السياسية، والمبادئ الشرعية، التي يستند إليها القاضي عياض، فهناك من جعل له ثلاثة مواقف إتجاههم ، من معارضة ومدفاعة لهم ، ثم بيعة على الاكراه، ومن ثم نقض البيعة، وهناك من جعلها خمسة مواقف، وذلك من خلال استقراء الأحداث التي مرت على القاضي عياض إبان عهد الموحدين، وقد تبني القول بالثلاثة مواقف؛ صاحب كتاب " الاستقصاء " الناصري، وملخص قوله أن دولة الموحدين حين تكون ضعيفة، ودولة المرابطين لاتزال قوية، فإن القاضي عياض يدافعها ويعارضها فإذا قويت شوكتها يبايعها على الإكراه، فإذا ضعفت قوتهم بسبب ثورة أو نزاع نقض بيعتهم وهكذا، الى أن توفي، وهذه المواقف راجعة الى أنه كان لا يرى بإمامتهم وعدالتهم، بسبب غلبت النزعة الخارجية عليهم، وادعائهم العصمة المهدوية، اضافة الى ما ذكرنا من تسلط الظروف القاهرة، ومن يقول بأن له خمسة مواقف اتجاه هذه الدولة؛ فيرجع ذلك الى المصلحة ومانتفضه الظروف السياسية، ومنطق السياسة الذي لا يرحم، وإن كان ذلك على حساب المبدأ الشرعي، وقد اضطر بعض الملاحظين الى تبني هذا القول، لوجود إشكاليات منها: كيف يبايع القاضي عياض من لا يرى إمامتهم؟ وكيف يبايع من يقول بالعصمة المهدوية؟ وقد كان يبدع قائلها إن لم نقل يكفره! وما سبب كثرت الثورات من أهل سبتة ضد

الموحدين؟ وهل كانت بإيعاز من القاضي عياض أم تمردوا عليه هو آخر؟ وهل رضي أهل سبتة جميعهم بمبايعة القاضي عياض للموحدين العدو اللدود للمرابطين أم هناك من له رأي آخر؟ وغيرها من الاشكاليات.

وفي المجمل يمكن القول أن شخصية القاضي عياض شخصية مخزومة عاشت فترتين مختلفتين ومتناقضتين، وكانت هذه الفترة مليئة بالأحداث، تأثر بها القاضي وأثر، وكان له فيها دور محوري الى أن انتهت هذه الأحداث بوفاته مغربا عن وطنه.

الملاحق

الملحق رقم : (02): خريطة توضح المدن الوارد ذكرها في الرسالة¹



¹ - البشير الترابي، المرجع السابق، ص 462.

الملحق رقم (03): رسالة الأمير علي بن يوسف بن تاشفين (ت 537هـ) إلى قاضي الجماعة في قرطبة يوصي بشأن القاضي عياض¹

«... وفلان - يعني عياضاً - أعزّه الله بتقواه وأعانه على ما نواه،
ممن له في العلم حظّ وافر ووجه سافر، وعنده دواوين أغفال لم تفتح
لها على الشيوخ أفعال، وقصد تلك الحضرة ليقيم أود متونها، ويُعاني
رمد عيونها، وله إلينا مائة مرعية أوجبت الإشادة بذكره والاعتناء
بأمره، وله عندنا مكانة حفية تقتضي مخاطبتك بخبره، وإنهاضك إلى
قضاء وطره، وأنت إن شاء الله تسدّد عمله وتقرب أمله، وتصل أسباب
العون له إن شاء الله»⁽¹⁾.

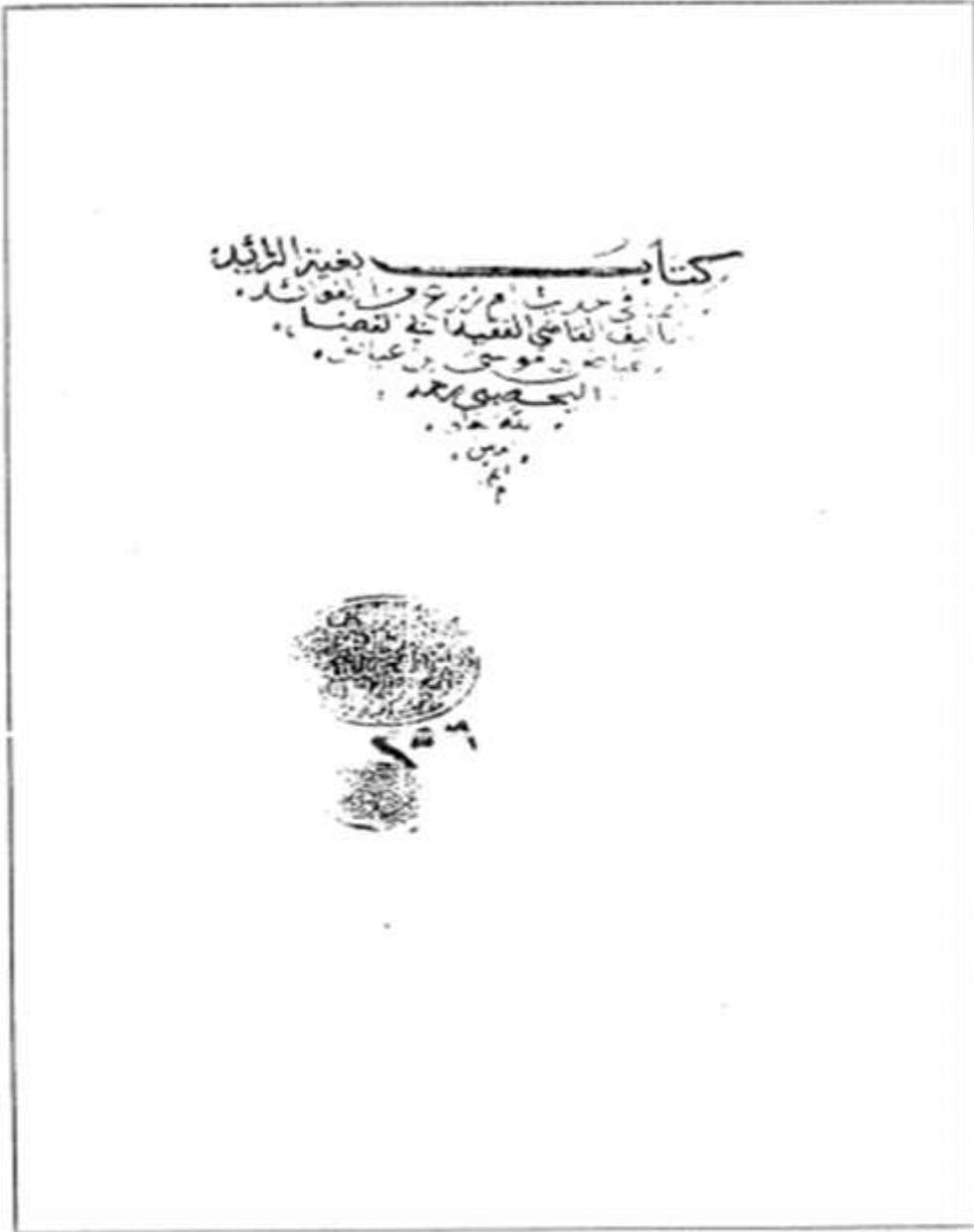
¹ - حسين شواط، المرجع السابق، ص 19.

الملحق رقم (04): واجهة أصلية لكتاب أكمال المعلم شرح مسلم لقاضي عياض¹



¹ - البشير الترابي، المرجع السابق، ص443.

الملحق رقم : (05) يوضح واجهة ومقدمة كتاب بغية الرائد لقاضي عياض



الشكل رقم : (01) يوضح واجهة الكتاب¹

¹ - البشير الترابي، المرجع السابق، ص456.

الملحق رقم (06): نسخة من كتاب الغنية فهرست شيخو القاضي عياض¹



¹ - البشير الترابي، المرجع السابق، ص459.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر

1. ابن ابي الزرع الفاسي(ت762هـ/1325م): الانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، د ط، دار المنصور، الرباط، 1972م.
2. ابن الآبار أبو عبد الله محمد القضاءي(658هـ/1260م): التكملة لكتاب الصلة، تح: عبد السلام هرامس، د. ط، دار الفكر، بيروت، لبنان، ج1، 1415هـ/1995م.
3. _____: المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967م.
4. ابن الأثير الجزري: اللباب في تهذيب الأنساب، د.ط، دار الصادر، بيروت، لبنان ج3، د.س.
5. _____: الكامل في التاريخ، مر، تص؛ محمد يوسف الدقاق ط4، دار الكتب العلمية، د.م.ن، 2003.
6. ابن الخطيب السلماني: اعمال الاعلام في من بويغ قبل الاحتلام من ملوك الاسلام تح: ليفي بروفنسال، ط2، دار المكشوف بيروت، لبنان، 1375 هـ / 1956 م.
7. _____: الإحاطة بأخبار غرناطة، ط1، الموسوعات، مصر 1901م.
8. ابن القاضي أحمد المكناسي(ت960هـ): جذور الاقتباس في ذكر من حل من الاعلام مدينه فاس، د ط، دار المنصور، الرباط ، 1973.
9. ابن القطان ابو محمد الحسن بن علي بن محمد المراكشي(ت628هـ): نظم الحمان لترتيب ما سلف من اخبار الزمان، تح: محمود علي مكي، ط2، دار الغرب الاسلامي تونس 1410هـ/1990م.
10. ابن بشكوال أبو القاسم عبد الله بن سعيد: الصلة، تح: إبراهيم الابياري، ط1، دار الكتاب اللبناني، ج2، 1989م.
11. ابن خلدون عبد الرحمن(ت808هـ): العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط1، دار الفكر، بيروت، ج6، 2000م.

12. ابن عبد البر أبو عمر يوسف (ت463هـ): الانتباه على قبائل الرواة، تح: إبراهيم الابياري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1985م.
13. ابن عذاري أبو العباس احمد بن محمد (ت727هـ): البيان المغرب في اختصار اخبار ملوك الاندلس والمغرب، تح: بشار عواد، ط1، دار الغرب الاسلامي، تونس، مج3 1434هـ/2013م.
14. ابن غازي أبو عبد الله بن احمد بن محمد العثماني المكناسي، الروض الهتون في اخبار مكناسه الزيتون، تح: عطا ابو رية و سلطان بن خليل الاسمري، ط1، المكتبة الثقافية الدينية، دم ن، 1428هـ/2007م.
15. ابن قنفذ أبي العباس أحمد القسنطيني (ت810هـ): الوفيات، تح: عادل نويهض ط4، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1403هـ/1983م.
16. ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت774هـ): البداية و النهاية، ط2، مكتبة المعارف، لبنان، ج12، 1977م.
17. ابن خلكان أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد (ت681هـ): وفيات الأعيان و أبناء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، د.ط، دار صادر، بيروت، 1972م.
18. ابن فرحون علي المالكي (ت799هـ): الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح: محمد الأحمد، د.ط، دار التراث، القاهرة، مصر، ج1، 1972م.
19. أبو الحسن بن عبد الله النبھاني المالقي الاندلسي: تاريخ قضاة الأندلس، تح: لجنة إحياء التراث العربي، ط5، دار الآفاق، بيروت، 1983م.
20. أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الغرناطي: صلة الصلة، تح: شريف أبو العلا العدوي ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1429هـ/2008م.
21. أبو عبد الله محمد بن عياض: التعريف بالقاضي عياض، تح: محمد بن شريفة ط2، وزارة الآفاق و الشؤون الإسلامية، الرباط، المغرب، 1982م.
22. الإدريسي ابو عبد الله الشريف نزهة المشتاق في اختراق: الافاق، دط، مكتبة الشفافة الدينية، القاهرة، مصر، مج1، 1422هـ/2002م.
23. البغدادي عبد المؤمن بن عبد الحق (ت739هـ): مرصد الأطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تح: علي محمد البجاوي، ط1، دار الجيل، بيروت، مج3، 1373هـ/1954م.

24. البكري أبو عبيد: المغرب في ذكر افريقية والمغرب، د.ط، مكتبة المثني بغداد، العراق، 1857م.
25. البيهقي ابو بكر بن علي الصنهاجي: أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين د ط، دار المنصور، 1971.
26. الحموي شهاب الدين ياقوت: معجم البلدان، د ط، دار صادر، بيروت ، لبنان 1397هـ/1977م.
27. الحميري محمد ، الروض المعطار في خبر الاقطار، تح: احسان عباس، ط2 مكتبه لبنان بيروت، 1984.
28. _____: صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، ط2، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1408هـ-1980م.
29. الذهبي شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان: سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الارنؤوط و محمد نعيم العرقسوسي، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج20، 1996 م.
30. _____: تذكرة الحفاظ، تص: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، ط16، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج7، د.س.
31. السملالي العباس بن إبراهيم: الإعلام بمن حل مراكز وأغمات من الأعلام، مر: عبد الوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، ج3 1418هـ-1997م.
32. السيوطي جلال الدين: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، مطبعة عيسى الحلبي وشركاه، د م ن، ج1، 1384هـ/1994م.
33. عياض بن موسى السبتي(ت544هـ): ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك، تح: سعيد أحمد اعراب، د ط، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، المغرب ج8، 1983م.
34. _____: الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض، تح: ماهر زهير جزار، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1982م.
35. الفتح بن خاقان: قلائد العيقان في محاسن الأعيان، تح: حسين يوسف خريوبش ط1، مكتبة المنار، د م ن، مج1، 1409هـ/1989م.

36. _____: إكمال المعلم بفوائد مسلم، تح: الحسن بن محمد شواط، ط1، دار عفان، 1414هـ/1994م.
37. _____: الإلماع إلى معرفة الرواية وتقييد السماع، تح: السيد أحمد صقر، ط1، دار التراث، القاهرة، 1389هـ/1970م.
38. _____: التتبيحات المستنبطة على الكتب المدونة والمختلطة، تح: محمد الواثق وعبد المنعم حميتي، ط1، دار ابن حزم، بيروت، لبنان 1432هـ/2011م.
39. _____: الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، تح: عبده العلي كوشك، ط1، جائزة دبي للقرآن الكريم، 1434هـ/2013م.
40. _____: مشارق الأنوار على صحاح الآثار، د ط المكتبة العتيقة، تونس، ج1، د س.
41. القلقشندي أبي العباس احمد:الصبح الأعشى في صناعة الناشئ، د.ط، مطبعة العامرية، القاهرة، 1915م.
42. الفيروزابادي مجد الدين محمد بن يعقوب ، تح: احمد باشا تيمور ونصر الهوريني، ط 1 ، دار الغد الجديد، القاهرة، 1435هـ / 2014م.
43. الكتاني عبد الحي بن عبد الكبير: فهرس الفهارس و الإثبات و معجم المعاجم والمشیخات و المسلسلات، تح: إحسان عباس، دار العربي الإسلامي، بيروت، 1982م.
44. محمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية تح: عبد المجيد خيالي، ط1، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، 1424هـ/2003م.
45. المراكشي أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح: إحسان عباس، ط1، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1392هـ/1973م.
46. المراكشي محي الدين أبي محمد الواحد: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شر صلاح الدين الهواري/ د.ط، المكتبة العصرية، بيروت، 1426هـ/2006م.
47. المقري أحمد بن محمد السلماني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دط، دار صادر، بيروت، مج1، 1398هـ، 1968م.

48. المقري شهاب الدين احمد بن محمد: أزهار الرياض في أخبار عياض، تح: مصطفى السقا و آخرون، ط، لجنة التأليف و الترجمة، القاهرة، ج1، 1939م.
49. مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب، تر: سعد زغلول عبد الحميد، د.ط، دار الشؤون الثقافية العامة، د.م.ن، د.س.
50. مؤلف مجهول: الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية، تح: سهيل زكار وعبد القادر زمانه، ط 1 ، دار الرشد الحديثة، 1399هـ/1979م.
- ثانيا: المراجع**
51. حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط14 دار الجيل بيروت، 1416هـ، 1996م، ج4.
52. ابو خليل شوقي زلاقة بقيادة يوسف بن تاشفين، ط2، دار الفكر، دمشق، سورية 1980م.
53. البشير علي الترابي: القاضي عياض وجهوده في علمي الحديث دراية و روية، ط1 دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 1997م.
54. البغدادي إسماعيل باشا: هدية العارفين بأسماء المؤلفين وأثار المصنفين، د ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، مج1، 1370هـ/1951م.
55. بوتشيش إبراهيم القادري: المغرب والأندلس في عصر المرابطين (المجتمع الذهنيات والاولياء)، ط1، دار الطليعة، بيروت، لبنان 1993.
56. الجيلالي عبد الرحمن: تاريخ الجزائر العام، ط 2 ، دار مكتبة الحياة، الجزائر 1384هـ/1965م، ج6.
57. حسن علي حسن : الحضارة الإسلامية في المغرب العربي الأندلس، ط1، مكتبة الخناجي، القاهرة، 1980م.
58. الدراجي بوزياني: القبائل الامازيغية (أدوارها-مواطنها-أعيانها)، ط4، دار الكتاب العربي، د.م.ن، ج4، 2010م.
59. الدقر عبد الغني: الإمام مالك بن انس إمام دار الهجرة، ط3، دار القلم، دمشق، سوريا، 1998م.

60. دنريش عصمت عبد اللطيف: دور المرابطين في نشر الاسلام في غرب إفريقيا (430هـ/515هـ)، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م.
61. ر سرجاني اغب: قصة الاندلس من الفتح الى السقوط، د.ط، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع، القاهرة.
62. شواط الحسين بن محمد: القاضي عياض عالم المغرب و إمام أهل الحديث في وقته، ط1، دار القلم، دمشق، سوريا، 1999م.
63. شواط الحسين بن محمد: منهجية فقه الحديث عند القاضي عياض في إكمال المعلم بفوائد مسلم، ط1، دار ابن عفان، الخبر، المملكة العربية السعودية، 1414هـ/1993م.
64. الصلابي محمد علي: تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 1430هـ/2009م.
65. عبد الله محمد جمال الدين: الدولة الفاطمية، د.ط، دار الثقافة، القاهرة مصر، 1991م.
66. عبد الوهاب حسن حسني: الإمام المازري، د ط، دار الكتب الشرقية، تونس، د س.
67. عنان محمد عبد الله: دولة الإسلام في الأندلس العصر الثاني دولة الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1417هـ/1997م.
68. فاخوري محمود: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري حياته وصحيحه، د ط، حلب سوريا، 1398هـ/1978م.
69. محمود حسن احمد: قيام دولة المرابطين (صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصر الوسيط)، د.ط، دار الفكر العربي، القاهرة، د.س.
70. محمود حسن أحمد، قيام دولة المرابطين، دط، دار الفكر العربي، القاهرة، د س.
71. مصطفى عبد الله الشهير بحاحي خليفة: الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ط1 دار الفكر، دمشق، سوريا، ج2، 1403هـ/1982م.
72. مقديش محمود: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تح: علي الزواوي ومحمد محفوظ، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، مج1، 1988م.
73. المليي مبارك محمد ، تاريخ الجزائر القديم والحديث، تصحيح: محمد المليي، د ط المؤسسة الوطني للكتاب، الجزائر، ج2، دس.

74. الناصري ابو العباس احمد بن خالد الاستقصاء في اخبار دول المغرب الاقصى
تح: جعفر الناصر، دط دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، ج2، 1957 .
75. الوراكلي حسن: أبو الفضل القاضي عياض السبتي (ثبت ببليوغرافي)، د ط، دار
الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1994م.

ثالثا: الرسائل الجامعية

76. ابن إبراهيم أم الجيلالي: الفقهاء والسلطة في المغرب الإسلامي (قاضي عياض
نموذجًا) " 5هـ - 11م، 6هـ - 12م، مذكرة تخرج ماستر، قدمت تاريخ وحضارة المغرب
الإسلامي، إشراف قراوي نادية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية
شعبة التاريخ، جامعة مولاي الطاهر - سعيدة، 1438/1437هـ - 2017/2016م
77. شرقي نواره: الحياه الاجتماعية في المغرب الاسلامي في عهد الموحدين، مذكره لنيل
شهاده الماجستير في التاريخ الاسلامي الوسيط، ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم
التاريخ، جامعة الجزائر، 2008/2007 هـ/1428 هـ/1429 هـ.
78. كيم الباشا القاضي وجهوده العقديه في مبحث الالهيات والنبوات مذكره مقدمه لنيل
شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية تخصص عقيدة، اشراف عمار جيدل، كلية العلوم
الإسلامية، قسم العقائد والأديان، جامعه الجزائر، 2010 / 2009.

رابعا المجالات

79. عبد الهادي التازي: "القاضي عياض بين العلم والسياسة"، مجلة المناهل، العدد 19
وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، الرباط، المغرب، صفر

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

شكرا وعرقان.....	
إهداء.....	
قائمة المختصرات.....	
مقدمة:..... أ	

الفصل التمهيدي: الأوضاع العامة حول عصر القاضي عياض

1- الحالة السياسية:.....	12
2- الحالة الاقتصادية:.....	15
3- الحياة الاجتماعية:.....	17
4- الحالة الدينية و الفكرية و العلمية:.....	22

الفصل الأول: التعريف بالقاضي عياض

المبحث الأول: السيرة الذاتية.....	26
المطلب الأول: نسبه وأصله:.....	26
المطلب الثاني: مولده:.....	29
المطلب الثالث: نشأته وأخلاقه:.....	30
المطلب الرابع: وفاته وأسبابها.....	34
المبحث الثاني: السيرة العلمية للقاضي عياض.....	36
المطلب الأول: طلبه العلم ورحلاته العلمية.....	36

المطلب الثاني: شيوخه:.....42

المطلب الثالث: تلاميذه.....47

المطلب الرابع: مؤلفاته:.....49

الفصل الثاني: حياته السياسية

المبحث الأول: مناصبه السياسية:.....55

المطلب الأول: ولايته القضاء بسبته.....55

المطلب الثاني: ولايته القضاء في غرناطة:.....56

المطلب الثالث: ولايته القضاء بسبته ثانية:.....57

المطلب الرابع: ولايته القضاء بداي:.....58

المبحث الثاني: مواقفه السياسية:.....60

المطلب الأول: موقف القاضي عياض من دولة المرابطين:.....60

المطلب الثاني: موقف القاضي عياض من الموحيدين:.....62

المبحث الثالث: تحليل المواقف السياسية للقاضي عياض:.....66

الخاتمة:.....69

الملاحق.....72

قائمة المصادر والمراجع:.....81

فهرس المحتويات.....89